

نسل إبراهيم

الجزء

الأول

العائلة

بقلم: بيرسي رولف

نسل إبراهيم

الجزء الأول

العائلة

بقلم

بيرسي هـ . رولفـ

المترجم

منير بقطر

طبعة أولى يوليو ١٩٩٧

The seed of ABRAHAM — "نسل إبراهيم"

Part one: The Family — الجزء الأول: العائلة

Author: Percy H. Rolf — تأليف: بيرسي هـ. رولف

Translated into Arabic
By: *Mounir Boctor* — نقله إلى العربية: منير بقطر

Publisher of the Arabic Edition: — الناشر للنسخة العربية:

Lighthouse Book Center — مكتبة المنار

17, Murad El Sherei Str. Saint Fatima — ١٧ ش مراد الشريعي –سانت فاتيما

Heliopolis - Egypt — مصر الجديدة – ج.م.ع

Tel.: 202/2495030 — تليفون: ٠٢/٢٤٩٥٠٣٠

Fax: 202/3536377 — فاكس: ٠٢/٣٥٣٦٣٧٧

ISBN: 977 - 5674 - 07 - 7 — رقم الإيداع بدار الكتب: ٩٧/٨٢٣٦

طبع بدار الطباعة القومية بالفجالة

س ٧/٩٧/(٣)

إهداء

يهدي مستر رولف كتابه لذكرى أخته "دورس رولف"

التي وافتها المنية في عام ١٩٣٨ في ريعان شبابها

عن عمر ٢٨ سنة أثناء قيامها بخدمة الإنجيل.

المقدمة

منذ أن قـرأت مـا كتبـه الكسندر هوايـت عـن إبراهيـم لم أزل مهتماً بهذه الشخصية. فقد ذكر هذه الكلمات "لم اكن أتخيـل علـى الإطلاق أن الله يحتاج لصديق وكان المستحيل تصديقه هـو كيـف يمكن لأي من أفراد جنسنا البشري الفاني أن يصبح خليلاً لله العلي"

فمن خلال نبوة إشعياء النبي يقول الرب:

"وأما أنت يا إسرائيل عبـدي، يـا يعقـوب الـذي اخترتـه، نسـل إبراهيم خليلي"(إشعياء ٨:٤١) ويعترف الرسول يعقوب بأهمية هذه الكلمات إذ يقول في رسالته: "وتم الكتاب القائل فأمن إبراهيم بـا لله فحسب له براً ودعـي خليـل الله" (يعقـوب٢٣:٢). وهـذا مـا نجـد صدى له أيضاً في حديـث يسـوع إلى تلاميـذه عندمـا يدعوهـم عـن قصد "أحباء". (يوحنا١٥: ١٣-١٥) إلا أننـا نجـد أن إبراهيـم كـان فريداً من حيث نوعية علاقته مع الله.

لذلك نجد يعقوب يرُجّع كـل شـيء إلى حقيقـة انـه مـن "نسـل إبراهيم" والآيات التالية تجلو أي شك قد يخيم على هذه الحقيقة.

"لا تخف يا دودة يعقوب يا شرذمة إسرائيل أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل" (إشعياء٤١:١٤)

وقد لا يبدو للوهلة الأولى وجود علاقة بين هذا وبين موضوع الإيمان المسيحي حتى نفهم ما كان يعنيه الرسول بولس عندما كتب في رسالته إلى غلاطية "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية٣:٢٩).

إن اعتماد الكنيسة على صلتها بإبراهيم يماثل بطريقة غريبة اعتماد يعقوب على صلته بإبراهيم، فالمواعيد الإلهية عن البركات الروحية للمستقبل هي مواعيد من أجل نسل إبراهيم (غلاطية٣:١٦) ولم تمنح لأحد سواه.

لكن هذه المواعيد لم تكن قاصرة فقط على اليهود الوارثين الطبيعيين. فعندما تقابل يسوع مع الجندي الروماني من كفرناحوم تعجب من إيمانه حتى انه أعلن لأتباعه أنه لم يجد إيماناً بمثل هذه النوعية وسط شعبه (إسرائيل) وأضاف قائلاً: "وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السموات" (متى ٨:١١)

ولم تكن مواعيد البركة التي قدمها الله لإبراهيم وتكررت لإسحق ويعقوب إلا مواعيد لميراث ملكوت السموات - فأي باحث لسير الآباء الأقدمين لن يكون لديه أدنى شك في أن الرغبة

المتأججة التي كانت لديهم هي نوال ميراث روحي. فبرغم كل فطنتهم وكل ثروتهم المادية الضخمة التي جمعوها كانوا قانعين أن يصلوا لنهاية رحلة غربتهم على الأرض في مصر، التي ذهبوا إليها تلبية لدعوة فرعون وترحيبه بهم. فقد كان حقل المكفيلية يمثل الشيء الوحيد الذي يملكونه وبه المقبرة التي دفنوا فيها.

فالرجاء والانتظار المبني على تعاليم العهد الجديد لدى كل من يعتبرون أنفسهم تابعين لكنيسة المسيح هو من نفس نوعية الرجاء والانتظار الذي كان لإبراهيم وعشيرته. وستكون المفاجأة السعيدة لهؤلاء الذين أتوا من المشارق والمغارب ليدخلوا الملكوت، هي اكتشاف أن إبراهيم وإسحق ويعقوب هناك.

ملامح التشابه كثيرة بين اليهودية والإيمان المسيحي وهذا موضوع لم يلق الاهتمام الكافي. وهذا الكتاب ما هو إلا محاولة لفحص متجدد للقصص المعروفة عن الآباء وخاصة من زاوية صلتها بموضوع الإيمان المسيحي.

و من هنا يصبح من الواضح أن العنوان المختار لهذا الكتاب "نسل إبراهيم" هو في الحقيقة قصة موضوع الكتاب المقدس نفسه.

كانت بداية البركة من نصيب إبراهيم ثم انتقلت إلى ابنه إسحق ومنه إلى يعقوب الذي أصبح اسمه إسرائيل. كان لإسرائيل اثنا عشر

ابناً، إلا أن البركة انتقلت إلى أفرايم ابن يوسف أحد الاثنى عشر ويوسف هو رمز للمسيح نفسه.

وإني أفضل التعبير "نسل إبراهيم" بدلاً من بعض الترجمات الأخرى التي استخدمت تعبير ذرية أو أبناء مما يُصّعب من فهم بعض المقاطع مثل غلاطية ١٦:٣ .

أحب أن أعبر عن تقديري للملاحظات التي قدمها د. كليفورد دينتن رئيس تحرير جولرنال تشيراي أثناء إعدادي لنشر هذا العمل وأيضاً من أجل العمل الشاق الذي قامت به مار جريت كوز في المراحل المبكرة وآن هاربر في نقل ملاحظات للمحاضرات الأصلية التي تمثل البنية الأساسية لهذه الدراسة. وأيضاً إلى أخي كولين الذي عاونني في تكوين جداول الأنساب. وأيضاً اشعر أنى مدين بالعرفان إلى زوجة ابني من اجل النصيحة والتوجيه لتغيير أسلوب "المحامي في الكتابة إلى أسلوب يمكن قراءته وأيضاً كريس مورفن في خدمة "ألفا وأوميجا" الذي كان مصدر تشجيع لي مع خالص تقديري لمساعدته القيمة.

● المترجم: الترجمة العربية استخدمت ترجمة فان دايك لقربها من نفس أسلوب ترجمة كينج جيمس.

المحتويات

القسم الأول

المقدمة

المقدمة

"فان كنتم للمسيح فانتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة"
(غلاطية ٢٩:٣).

يقال إن قدراً كبيراً من المسيحية يرجع إلى جذور يهودية .. وما أصوب هذا القول. فالعهد الجديد يعلمنا أن الكنيسة المسيحية تتكون من كل الذين أصبحوا أولاداً لله (يوحنا ١٢:١) ولهذا صاروا ورثة لله بيسوع المسيح (غلاطية٧:٤) وتتجسم كل هذه الحقائق من خلال قصة إبراهيم ونسله . يصفها الرسول بولس بهذه الطريقة "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٢٩:٣) فكل من يدخل إلى ملكوت الله لابد أن يدخل بالولادة الروحية. هذا ما شرحه المسيح لنيقوديموس (يوحنا ٣:٣). وعندما نفهم هذه الحقائق لا يصبح موضوع دراستنا "نسل إبراهيم" مهماً فقط لأساتذة العهد القديم ولكنه بالحقيقة هو دراسة قصة المسيح نفسه وقصة كنيسته.

يعتبر إبراهيم الشخصية المفتاحية في المسيحية والإسلام حيث يبرز العهد الجديد والتوراة والقرآن سجل حياته. فهو يشغل

الأصحاحات من ١ إلى ٢٥ في سفر التكوين والآية الأولى في العهد الجديد تُكرّمه على أساس النسب المباشر للرب يسوع المسيح له. فمن الممكن القول إن الأحداث المسجلة في الكتاب قبل ميلاد إبراهيم ما هي إلا تمهيد لهذا الحدث. فمن وقت الطوفان، يوجه الكتاب المقدس تركيز القارئ إلى سلسلة نسب سام ثم ينتقل بسرعة إلى ولادة إبرام (كما كان يعرف مسبقاً) تكوين ٢٦:١١.

هناك اختلاف غير متوقع بين عرض الكتاب لسجل حياة إبراهيم وبين حياة الرجال العظماء الآخرين الذين تبعوه أمثال يوسف وإيليا وصموئيل وأمثالهم. فلم يبرز الكتاب إبراهيم كقائد عظيم لكنه أظهره بالتأكيد كرجل صاحب غنى وجاه. وهناك إحساس قد يدفع المرء إلى الظن أن ذكر إبراهيم لم يكن إلا بطريقة الصدفة العابرة في سرد قصته وأن الوحي قصد التركيز على نسل إبراهيم أكثر من إبراهيم نفسه.

وعند بدء الحديث عن إبراهيم نجد أن زوجته ساراي كانت عاقراً "ليست لها ولد" (تكوين ٣٠:١١) وتلقى هذه الكلمات بظلالها على جو كل ما يأتي بعدها من أحداث. وفي النهاية يأتي التوقيت الذي تكلم عنه الله عندما يقول "حملت ساراي ابناً لإبراهيم" في شيخوخته (تكوين ٢:١٢). حقيقة لم نعرف الكثير عن

أول ٧٥ سنة من حياتـه. إلا انـه خـرج مـن أور الكلدانيـين بحسـب دعوة الله وانه أقام في حاران حتى موت تارح أبيه.

ولم تكن دعوة الله لإبراهيم هي للذهاب لحاران ولكن للذهاب إلى أرض كنعان.

وبميلاد إسحق، نجد أن أضواء الوحي المقدس تخبو عـن إبراهيـم وتتسلط على ابنه "ابنك وحيدك إسحق الذي تحبه" (تكويـن ٢٢:٢) وهناك على جبل المريا نجد نبوة عـن حـدث لـه أهميـه عظيمـة لا يمكن أن نتخيلها لعلاقة إبراهيم بنسله. يعبر عنها الرسـول بولـس في رسالته بهذه الطريقة "وأما المواعيد فقيلت في إبراهيـم ونسـله. لا يقول وفي الانسـال كأنـه عـن كثـيرين بـل كأنـه عـن واحـد وفي نسلك الذي هو المسيح" (غلاطية١٦:٣).

لذا فليس من الغريـب أن نـرى الكيفيـة الـتي استخدمها الله في تجهيز وإعداد إبراهيم وساراي لميلاد ابنهم البكر أول النسل. وكيـف انه تأتي حتى اللحظة التي يصبح فيهـا الاثنـين مجهزيـن تمامـاً بطريقـة تعكس الأهمية الروحية لهذا الحدث بطريقة كاملة.

تخطت ساراي سـن الإنجـاب الطبيعـي بزمـان، ولكنهـا بالإيمـان "أخذت قـدرة علـى إنشـاء نسـل وبعـد وقـت السـن ولـدت" (عبرانيين ١١:١١) "لذلك ولد أيضاً من واحد وذلك من ممات مثل نجوم السـماء في الكـثرة" (عـبرانيين ١١:١٢) وهكـذا كـانت بداية

ملكوت السماوات وتأكيد الوعد لإبراهيم بالنسل الذي يعيد أمة من خلال إسحق وابنه يعقوب الذي تغير اسمه إلى إسرائيل ليصبح نسل إبراهيم بحسب الجسد هو شعب الله المختار، ليكون مثالاً وقدوة لإسرائيل الروحية التي ستضم كل من صار أو سوف يصير من أولاد الله بالإيمان في "النسل" أي الرب يسوع المسيح.

القسم الثاني

إبراهيم

الإعداد المبكر

"وكانت ساراي عاقراً ليس لها ولد" (تكوين ١١:٣٠)

كان يمكن أن الله يحقق ما عمله إبراهيم (فيما بعد) من خلال نوح. فبعد الطوفان نقرأ أن نوحاً بنى مذبحاً للرب وأصعد المحرقات على المذبح فنالت رضى الرب. ونتيجة لهذا العمل نقرأ "وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تكوين ٩:١). لكن الأصحاح الذي بدأ بآيات هذا الوعد يسجل للآسف العار الذي اقترفه نوح. ولم يسجل الكتاب القدس أي شيء أخر عن حياة نوح خلال آخر ٣٠٠ سنة من حياته سوى هذا الإعلان النبوي الذي يشير إلى أن البركة سوف تنتقل من خلال نسل ابنه سام ويذكر أن نوحاً مات عن عمر يناهز ٩٥٠ سنة.

و يسرد الأصحاح التالي (تكوين ١١) سلسلة مواليد أبناء نوح الثلاثة وثم يتعرض مباشرة لسرد أزمة أخرى تتعرض لها الأرض بسبب بناء هذه المدينة العظيمة التي لها برج رأسه يصل إلى السماء (تكوين ١١:١-٩) ورأى الله في ذلك تمرداً لا يمكن قبوله. لذلك نزل إلى هناك وبلبل ألسنتهم وبدد هم الرب على وجه كل الأرض.

وتوقف فجأة العمل في بناء هذه المدينة. ودعي اسمها بابل (التي تعني بلبلة أو تشويشاً) واسم البرج برج بابل ومن خلال هذه القصة تتعرف على شيء من تاريخ "بابل" نفسها، هذه المدينة التي سيكون لها دوراً بارزاً تلعبه في تاريخ شعب الله المختار. لكن حكم قضاء دينونتها لم يكن قد صدر بعد.

و تولى هذه الدراسة اهتماماً بحقيقة أن الوحي المقدس قد أُلهِم الكاتب بعد وصف قصة البرج والسرد السريع لسلسة نسب سام أحد أبناء نوح، أن ينتقل مباشرة إلى أبرام حيث يذكر عنه آمرين الأول أن زوجته اسمها ساراي وانه كان يسكن في أور الكلدانيين. ومن الواضح أن الله رأى في أبرام رجلاً صالحاً ومستقيماً ولكن كان على أبرام أن ينهض ويترك أور وأن يعتزل عن كل ما يمثله هذا البرج وأن يصحب زوجته ساراي معه.

لكن ساراي كانت عاقراً، ليس لها ولد (تكوين ١١:٣٠) بحسب الوصف الذي ذكره الكتاب عند تقديم هذه المرأة الفذة والتي كانت تلعب أحد الأدوار الهامة في حياة زوجها كما أنها أيضاً احتلت مكاناً بارزاً في قائمة المكّرمين من أبطال الإيمان من الرجال والنساء المذكورة في عبرانيين الأصحاح الحادي عشر. وقد زاد شعورها بخيبة الأمل على مر السنين لأنها عاقر. إلا أنها كانت على درجة عالية من الجمال كما نفهم من خلال الحادثة التي يؤاخذ أبرام

عليها. فقد استغل أبـرام جمـال زوجتـه سـاراي وسـيلة لحمـايتهم في مصر.

و تحدث أبرام عنها على أنها امرأة حسنة المنظر (تكويـن ١١:١٢) وهو لم يكن على خطأ عندمـا توقـع أن المصريـين سـوف يسـحرون بحسن منظرها "فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جـداً" (تكويـن ١٤:١٢) فأخذهـا الأمـراء وقدموهـا إلى فرعون نفسه. وكان التدخل الإلهي هو الذي حمى ساراي من النتائج الوخيمة لهذا الغـش ونقـص الإيمـان. تمثـل هـذه الحادثـة بدايـة مُذلـة ووضيعة. أما الأمر بالنسبة لله فكـان أعظـم مـن ذلـك بكثـير. لأن نسل أبرام كان مهدداً لذلك لزم تدخل حاسم.

"فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام" (تكوين ١٧:١٢) فلم تكن هذه المرة الوحيدة التي يرسل فيهـا الـرب ضرباتـه إلى فرعـون لحمايـة نسـل إبراهيـم. بـل كـانت هــذه الضربات كمقدمة ضرورية للخـروج العظيـم. فـلا يمكـن للمقـاصد الإلهية أن يفسدها بشر مثل فرعون. هكـذا اكتشـف أبـرام وزوجتـه ساراي أن ذلك كان بمثابة الاختبار المبكـر لإيمـانهم والنتيجـة كـانت فشلاً كاملاً وكانت مذلتهم عظيمة. "...فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعّوه وامرأته وكل ما كان له" (تكوين ٢٠:١٢). وهكـذا لم يكونـا معدان بعد للقيام بالدور الذي كان يعده الرب لهما.

تراب الأرض

"وأجعل نسلك كتراب الأرض" (تكوين ١٦:١٣)

كانت مذلة أبرام وزوجته المحبوبة في مصر درساً صعباً بعد إخفاقه في أول اختبار للإيمان، عندما قاد جماعته الصغيرة إلى الأرض التي كان يسكنها الكنعانيين (تكوين٦:١٢). هناك تراءى له الرب وكرر عليه وعده السابق كنوع من إعادة التأكيد "لنسلك أعطي هذه الأرض" (آية ٧). فأقام هناك مذبحاً آخر للرب ولكن "ارتحل أبرام ارتحالاً نحو الجنوب" (آية ٩). إلا أن فترة المجاعة كانت قاسية عليه "لأن الجوع في الأرض كان شديداً" (عدد ١٠). فقرر أبرام أن ينحدر إلى مصر ليتغرب هناك. وقد استعرضنا مسبقاً النتائج المترتبة على انحرافه عن دعوة الرب له ليذهب إلى كنعان.

أصبح أبرام غنياً جداً وهو بعيد عن مصر غنى في "المواشي والفضة والذهب" (تكوين ٢:١٣) ورجع إلى بيت إيل المكان الذي خيم فيه أولاً وإلى المذبح الذي أقامه هناك (آية ٣،٤) واغتنى أيضاً لوط ابن أخيه ولبث معه حتى "لم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً إذ كانت أملاكهما كثيرة فلم يقدرا أن يسكنا معاً" (تكوين ٦:١٣).

و يبدو أن إيمان أبرام قد تقدم خطوة إلى الأمام، محاطاً بغنى البركات الإلهية. وتطلع أبرام ولوط إلى الكورة الخصبة المحيطة بالأردن نحو الشرق ثم ناحية الغرب في اتجاه كنعان... وقرروا أن يقتسما هذه المنطقة بينهما كما لو كان لهم الحق الإلهي فيها، دون أن يعلم أي منهما ماذا يخفي المستقبل لهما. فلم يعلم لوط أن أهل سدوم كانوا أشراراً وخطاة لدى الرب جداً (آية ١٣) ولم يعلم باقتراب دينونة الله على المدينة.

لكن أبرام كان وضعه أحسن حالاً حيث ترك الحرية للرب ليختار له "ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطي ولنسلك إلى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض حتى إذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض نسلك أيضاً يُعد" (آية ١٤-١٦).

لقد كان الرب يُعد شيئاً لأبرام أعظم من مجرد النسل الجسدي الأرضي الذي لا يمكن أن يُعد وشُبه "بتراب الأرض". وكان إيمانه على وشك الدخول في اختبار آخر باشتراكه الغير متوقع في معركة كبيرة كانت أطرافها تسعة - (خمسة ضد أربعة). ووقع لوط أسير حرب.

و كان لأبرام العبراني، كما عرف وقتها، نفوذ لا يستهان به. فعند سماعه بخبر أسر ابن أخيه، أخذ غلمانه المتمرنين وسلحهم ثم قام

وهجم على الأعداء ليلاً وأنزل بهم الهزيمة. وحقيقة أن عـدد غلمانـه كان ٣١٨ من "ولدان بيته" (تكوين ١٤:١٤) تعطينا صورة واضحة عن مقدار الغنى والمستوى المعيشي الذي كان يتمتع بـه أبـرام، كمـا أنه يوضح مدى خصوبة العديد مـن جواريـه. إلا أن سـاراي كـانت لاتزال عاقراً.

بركة ملكي صادق

"قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يوحنا ٨: ٥٨)

كان الوقت للاحتفال بالنجاح الذي أحرزه أبرام في مهمة إنقاذ لوط وأسرته واستعادة كل ممتلكاتهم، إلى جانب نجاحه في مقاومة محاولة ملك سدوم لاستمالته بالمديح. لكن الظهور المفاجئ لملكي صادق ملك ساليم على مسرح الأحداث، كان أمراً غامضاً. فالشركة التي تمت بينهما المذكورة في نهاية الأصحاح ١٤ من التكوين تمهد الطريق إلى الرؤيا التي أعلنت لأبرام في بداية الأصحاح التالي مباشرة.

فتأكيد بركة "الله العلي" على أبرام من قبل هذه الشخصية الغامضة ملكي صادق جاءت في الحال بعد التشارك معاً في الخبز والخمر. وهي نفس الرموز عينها التي تشير إلى آلام المسيح (تكوين ١٤: ١٨).

فالمقابلة مع ملكي صادق كانت بمثابة إشارة لفترة الأزمة في حياة أبرام وهي تشبه إعلاناً إلهياً خاصاً. فبعد أن يقبل هذا الكاهن المجهول وصاحب الشخصية الغريبة العشور من أبرام، يقوم ويباركه ثم يختفي من الأحداث بهدوء وبنفس طريقة ظهوره. ثم لا نجد أي

ذكر له بعد ذلك في كل قصة أبرام على الإطلاق. إلا أن داود، بعد مرور حوالي ١٠٠٠ سنة يفاجئنا بالإشارة إليه في أحد مزاميره التي كتبها: "أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (مزمور ٤:١١٠).

و يبجل اليهود إبراهيم كأعظم إنسان خلقه الله، فهم الذين يدعونه "أبينا إبراهيم" وغالباً ما يتحدثون عن "حضن إبراهيم". أما ملكي صادق فمن الصعب أن يكون له مكانة في تاريخهم. فلا ذكر له بعد ذكر داود بعد مرور حوالي ١٠٠٠ سنة أخرى. ثم يذكر كاتب رسالة العبرانيين، بعد ميلاد المسيح، قصته بمنطق مقنع. فبالهام الروح القدس قصد الكاتب أن يشير إلى ما كتبه داود، الذي من الصعب الطعن في مصداقيته من قبل اليهود الموجهة إليهم هذه الرسالة. كما يستشهد كاتب رسالة العبرانيين في الأصحاح ٧ مرتين بالمزمور الذي ذكرناه مسبقاً وذلك في عددي ١٧، ٢١.

و القضية هنا واضحة. فلو كان الذي كتبه داود حقيقي، فإن الله وعد بقدوم الكاهن إلى الأبد الذي سيكون على رتبة مختلفة، على رتبة ملكي صادق. وبتقديم هدية العشور وبقبول أبرام للبركة، اعترف أبرام بذلك. فلا غرابة أن يعبر بالقول "ما أعظم هذا" (عبرانيين ٤:٧).

و تشكل حقيقة هوية ملكي صادق حيرة الباحثين عبر السنين.

وطرحت عدة احتمالات للتفسير، مثل هل كان ملكاً كنعانياً؟ هل كان ملاكاً؟ هل هو سام؟ وبعضهم تجرأ واقترح انه الرب يسوع نفسه. ونحن لا تنقصنا الأدلة للوصول إلى النتيجة فهو:

ملك البر

ملك ساليم (السلام)

بلا أب بلا أم

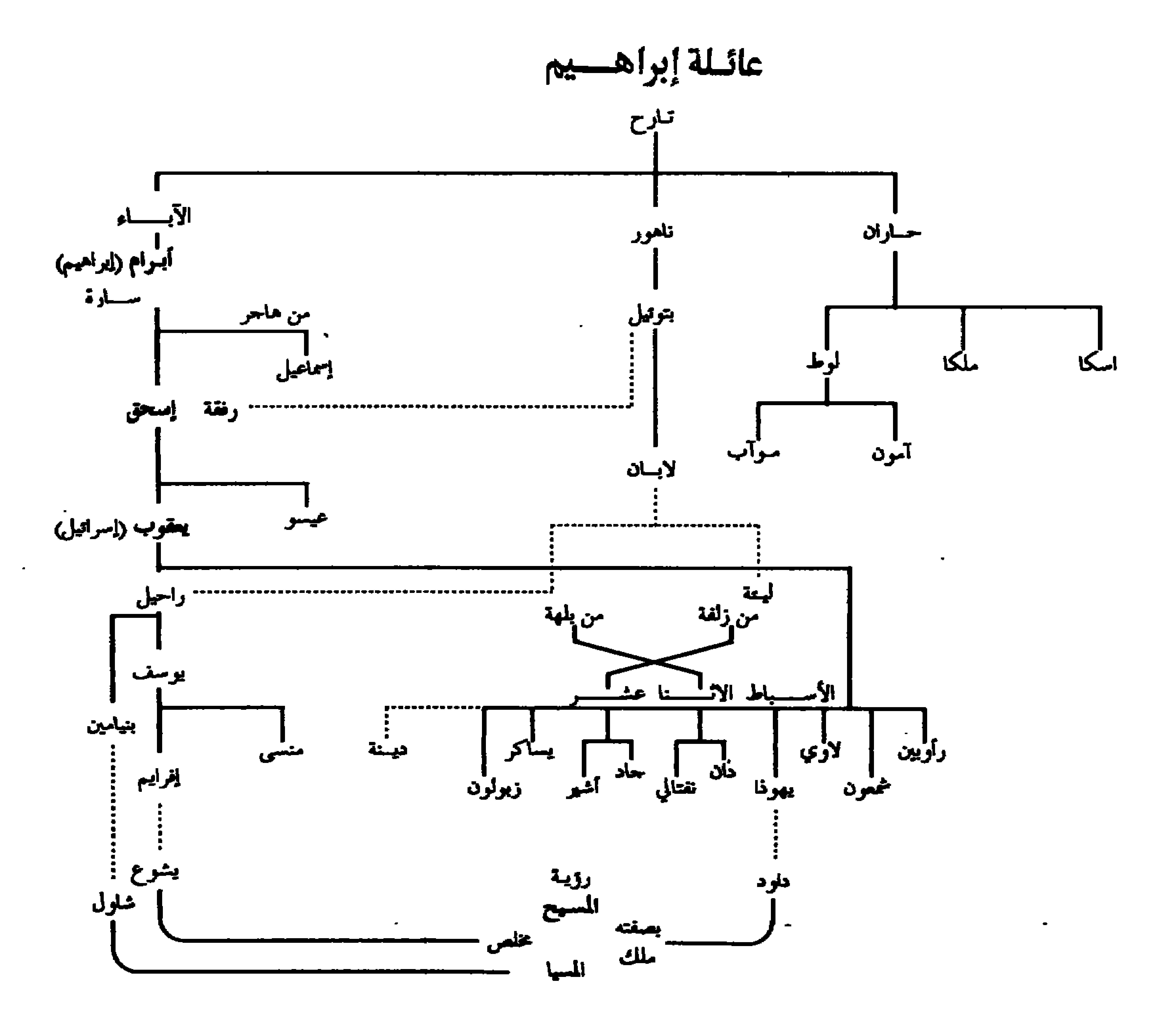
بلا نسب

لا بداءة أيام ولا نهاية حياة

هل يمكن أن يكون المسيح قد ظهر لأبرام قبل ٢٠٠٠ سنة من تجسده؟ كان هذا هو السؤال الذي طرحه اليهود على المسيح عندما ذُكر موضوع إبراهيم. فاليهود يفتخرون بمركزهم أنهم ذرية إبراهيم. ألعلك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات. من تحسب نفسك؟" (يوحنا ٨:٥٣). فمن المستحيل على اليهود قبول وجود أي إنسان أعظم من إبراهيم. ثم جاء السؤال "ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟" (يوحنا ٨:٥٧). وجاءت الإجابة المدمرة "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن". وبرغم كل حدس ممكن أن يكون لدى الباحثين، فالعديد يؤمن أنه لا يمكن أن يوجد إلا ملك واحد وحيد للبر وملك واحد وحيد للسلام.

و على أي حال كان اللقاء القصير مع ملكي صادق سبباً في

تقوية إيمان أبرام وإعداده لما سيأتي. فالخبرة التي اكتسبها حديثاً من خلال الحرب جعلته يتأمل في حقيقة أن الجنس البشري "تراب الأرض" معرض للموت. ومقابلته مع ملكي صادق ساعدت على إعداده للبُعد الجديد لإمكانية وجود نسل روحي لا يُعّد "كنجوم السماء".


عائلة إبراهيم
تارح
الآباء
ناحور
حاران
أبرام (إبراهيم)
سارة
من هاجر
إسماعيل
بتوئيل
لوط
ملكا
اسكا
إسحق
رفقة
موآب
آمون
لابان
عيسو
يعقوب (إسرائيل)
راحيل
ليئة
من بلهة
من زلفة
يوسف
الأسباط الاثنا عشر
بنيامين
منسى
دينة
يساكر
زبولون
جاد
أشير
دان
نفتالي
يهوذا
لاوي
شمعون
رأوبين
إفرايم
يشوع
شاول
رؤية المسيح
داود
مخلص
بصفته ملك
المسيا

نجوم السماء

"انظر إلى السماء وعد النجوم إن استطعت أن تعُدها... هكذا يكون نسلك" (تكوين ١٥:٥)

من خلال الرؤيا التي تلت الأحداث الدرامية المسجلة في أصحاح ١٤، يعيد الرب على مسامع أبرام تأكيداته انه ترس له. وأن له أجراً كبيراً عنده ويأتي رد أبرام المصبوغ باليأس وربما العتاب "أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماض عقيماً... انظر انك لم تعطني نسلاً". والأمر الواضح عند أبرام أنه لا يوجد أي شيء بديل يمكن لله أن يصنعه له أو بمنحه إياه به يشبع رغبته العارمة لأن يكون له ولد. ولا يُقبل أي تعويض عما كان يبدو أن الله قد أخل بوعده، الذي على أساسه ترك أبرام وطنه وأرض ميلاده.

لكن الله لم ينس، وفي تلك الليلة أخرجه إلى الخارج وقال أنظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها وقال له هكذا يكون نسلك. وهذا هو الاختبار الذي تم إعداد أبرام له بدون أن يدرك من خلال الأحداث التي سبقت هذه الرؤيا. لقد كان هذا الاختبار يعتبر حقيقة الركيزة الأساسية لكل الأحداث التي ستتبع. نحن نعلم الآن أن

- أبرام قد نجح في الاختبار لكن من الضروري لنا أن نتأمل في أهمية الآية التي تسجل تجاوب أبرام أمام هذا التحدي الإلهي:

"فآمن بالرب فحسب له براً" (تكوين ١٥:٦)

تجاوُب محدد وفي الصميم... ولكن هذه الآية تناولها كاتبو أسفار العهد الجديد بالتحليل مرات عديدة. ثلاث كلمات هامة "آمن"، "حسب" و"بر". ينبر الرسول بولس على الإيمان في (غلاطية ٦:٣). فالنبوة تتعلق بالإيمان. إن الله يبحث عن البر كما يؤكد يعقوب. فإن ملكوت الله هو للأبرار (يعقوب ٢:٢٣) لكن في رسالة أخرى يؤكد الرسول بولس هذا الحق وهو أن الإيمان يحسب براً. فالله مستعد أن "يضع" البر في الإنسان الخاطئ عن طريق الإيمان في الرب يسوع المسيح والإيمان بأن الله أقامه من الأموات (رومية ٤:٣).

كان الله يبحث عن هذه النوعية من الإيمان في أبرام عندما وقفا معاً تحت النجوم في تلك الليلة. نعم كان رحم ساراي قد مات... لكن الله برغم ذلك سوف يمنحها ابناً... واستطاع أبرام أن يصدق ويؤمن بأن الرب قدير وأنه سوف يحقق المستحيل. وهكذا كتب بولس الرسول إلى رومية: ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان، وإذ لم يكن ضعيفاً في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مماتيّة مستودع سارة... بل تقوى بالإيمان معطياً مجداً لله (رومية ٤:١٩-٢٠). إنه إيمان بالقيامة

من الأموات وليس اقل من ذلك. وطلب أبرام تأكيدات بخصوص الأرض التي سيرثها هو ونسله الموعود. وهنا نشاهد واحداً من أهم الأحداث المسجلة في التاريخ حيث يقدم الرب وعداً بالدخول في عهد مقدس مع أبرام ونسله. وكانت العادة في ذلك الوقت أن مثل هذا العهد يصدق عليه علانية بأن يجتاز أطراف العهد بين شطري ذبيحة من الحيوانات التي يتم ذبحها لهذا الغرض. وكانت أنواع الحيوانات التي تستخدم في هذه المناسبة إما عجل صغير أو عنزة أو كبش أو يمامة أو حمامة ومن كل حيوانات وطيور الذبائح. وبعد أن تم إعداد الحيوانات وشقها من الوسط، وترتيبها انتظر أبرام وأخذ يفكر هل سيظهر له الرب؟

و مر اليوم بلا أي تغيير، نام أبرام نوماً عميقاً وعندما "غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع" (تكوين ١٧:١٥). وتفضل الرب بختم عهده وأعطى إبرام وقدم له التأكيد بخصوص النسل والميراث. ونص الميثاق على الآتي:

"لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات" (تكوين ١٨:١٥).

النسل غير الحقيقي

"بإسحق يدعى لك نسل" (تكوين ١٢:٢١).

بعد اختيارات القمة المذكورة في أصحاح ١٤ و١٥ ، يهبط أبرام في الأصحاح التالي إلى أرض الواقع. "وأما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له". فالوضع ما زال بدون تغيير وبقيت ساراي بلا ولد برغم كل ما حدث وبرغم وجود كل المواعيد والميثاق. وكانت لساراي جارية مصرية اسمها هاجر ربما تستطيع أن توفر حلاً عملياً لهذه المعضلة. وتصل ساراي مع ابرام إلى اتفاق، وتتم ولادة إسماعيل لما كان أبرام يبلغ من العمر ٨٦ عاماً، واستطاع أن يحقق مع هاجر ما كان يستحيل عليه أن يحققه مع ساراي. وأصبح الآن نسل أبرام واقعياً وليس حلماً. أما في نظر الله كان هذا النسل بحسب الجسد.

و لم تؤد حيلة أبرام وساراي أي شيء من المساعدة في تقريب النسل الحقيقي بل إن النتيجة كانت كما هو متوقع كارثة لساراي التي عانت من احتقار جاريتها. كما كانت محطمة لأبرام الذي اضطر فيما بعد أن يطرد هاجر مع ابنها من بيته نزولاً على رغبة سارة وذلك بعد ولادة إسحق. سنرى أيضاً في المستقبل كيف كانت

معاناة إسحق كما أشار بولس في رسالته إلى آهل غلاطية عندما يصل إلى استنتاجاته الرمزية من القصة:

"وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد. ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد التي حسب الروح هكذا الآن أيضاً. لكن ماذا يقول الكتاب. اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة" (غلاطية ٢٨:٤-٣٠).

و من الواضح انه لم يكن لهاجر أي دور في خطة الله بشأن النسل الحقيقي لأبرام، وبعد مرور ١٣ عاماً تقريباً ترآى الرب لأبرام مرة أخرى.

و ربما كان شعور اليأس يخيم على افتتاحية الأصحاح السابع عشر إذ يذكرنا بتقدم عمر أبرام الذي أصبح ٩٩ عاماً. وبعد تقديم تذكرة سريعة له عن قداسة الله القدير، يسجل الأصحاح سلسة من المواعيد العظيمة كمقدمة لأبرام وساراي ولابنهم الذي لم يولد بعد والذي سوف يدعى إسحق (تكوين ١٧:١٩). لذا كان لابد من بداية جديدة وأسماء جديدة لأبرام وساراي اللذين أصبحا إبراهيم وسارة (ومعناه الأميرة) وفي كلتا الحالتين أضيف جزء من اسم الله إلى الاسمين. في حالة "أبرام" كان اسمه الجديد يحمل معنى هاماً. وبينما يعني "أبرام" الأب فإن إبراهيم يعني آب لجمهور من الأمم

وبذلك يكون النسل الروحي لإبراهيم متقدم على النسل الطبيعي الذي ستأتي منه أمة إسرائيل.

و نقرأ أن أبرام سقط على وجهه عندما تكلم ا لله معه (تكوين ١٧:٣) وكرر الله العهد مرات عديدة "فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً" (آية٢) "وأثمرك كثيراً جداً" (آية ٦) "وأجعلك أمماً" (آية ٦) وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً" (آية ٧). "وأعطى لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً" (آية ٨) "وأباركها (سارة) وأعطيك أيضاً منها ولد" (آية ١٦) "أباركها فتكون أمماً وملوك. شعوب منها يكونون" (آية ١٦) "وأقيم عهدي معه (إسحق) عهداً أبدياً لنسله من بعده" (آية ١٩).

وبينما يجدد الله ميثاقه مع إبراهيم نجد أن هناك شعوراً متزايداً لحاجة ملحة. فالعهد حتى الآن من جانب واحد فقط حتى الآية ٩ عندما قال الله لإبراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدي. أنت ونسلك من بعدك من أجيالهم... وما سوف يتبع هذا كله بلا شك مفاجأة لإبراهيم وقد يكون لنا أيضاً.

"هذا عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك. يختن منكم كل ذكر." (آية ١٠).

و هكذا تم تقديم الختان كطقس للعهد المقدس وهكذا يذكر في نهاية الفصل عن اجتياز إبراهيم وابنه إسماعيل في هذا الاختبار المؤلم. وهكذا عُرف نسل إبراهيم عبر السنين بهذه الطريقة الغريبة حتى أن المسيح نفسه تم ختانه في اليوم الثامن. وبتأسيس الكنيسة حلت فريضة المعمودية محلها وهي تعكس إيمان الشخص في موت المسيح وقيامته من الأموات كما يوضح ذلك الرسول بولس في رسالته إلى أهل كولوسي: "وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بخلع جسم (خطايا) البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات" (كولوسي ٢:١١-١٢).

فبولادة إسحق التي ستتم بعد وقت قصير بتدخل إلهي معجزي، تصل حياة أبينا إبراهيم إلى قمتها. كانت هذه الولادة تتنبأ عن النسل الروحي لإبراهيم وتتحدث عن المسيح والكنيسة. وهكذا يقرب إبراهيم وسارة من معاينة أول نجم من تلك النجوم التي لا تعد في السماء الروحية التي وجّه الله أنظارهم نحوها.

رسل من السماء

"أسرعي بثلاث كيلات دقيقاً سميذاً" (تكوين ٦:١٨)

تضاعفت درجة الإثارة بوصول ثلاث رسل من الله، ظهروا لإبراهيم بحسب تكوين ١٨، عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب خيمته وقت النهار. ولم يتوان إبراهيم في فهم أهمية هذه الزيارة ولا في التعرف على هوية واحد منهم بالذات وعامله باهتمام عظيم وكان يدعوه "يا سيد" في الحديث إليه. "وأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال أسرعي بثلث كيلات دقيق سميذاً. اعجني واصنعي خبز ملّة" (تكوين ٦:١٨). وقد يكون من المثير أن يتم تسجيل تعليمات إبراهيم إلى زوجته بتفصيلاتها، لكنها تذكر القارئ بالمثال الذي قاله يسوع في (متى ١٣:٣٣) عندما قال "يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع". وتحير المفسرون في المعنى العميق الخفي لهذا المثل فالخمير كانت دائماً تستخدم في الكتاب المقدس لتشير إلى الخطية. لذا فربط الخميرة بموضوع ملكوت السموات لغز.

لكن هؤلاء الرسل كانوا عند بلوطات ممرا وعلى وشك أن

يعلنوا حدثاً هاماً هو بداية ملكوت السموات على الأرض. فيمكن أن تكون ضحكة سارة المتشككة عند سماعها ما قيل عند باب الخيمة هي الخميرة في الأكيال الثلاثة التي كانت تنوي إعدادها. فهناك معجزة إيمان كانت على وشك أن تحدث، ولن تتأخر نتيجة الخطأ الذي تجسد في ضحكة سارة وهي تخلط الخميرة في كيلات الدقيق الثلاث. فالملكوت ليس لهؤلاء الذين بلغوا حد الكمال. فإيمان سارة لم يصل إلى هذا الحد، وربما لا يمكن أن يقارن بإيمان زوجها لكنه كان كافياً في نظر الله. ومهما كان تفسير المثل فإن الرسالة كانت كاملة الوضوح. "يكون لسارة امرأتك ابن".

يشمل أصحاح ١٩ أحداثاً اعتراضيه لقصة إبراهيم. يشير مصير سدوم وعمورة إلى دينونة الله الأخيرة على العالم وتنبر على أهمية قداسة حياة إبراهيم ونسله. وكما ذكر نسل لوط وأصل المؤابيين وبني عمون. وسيتكاثر أبناء إسماعيل والمؤابيين والعمونيين ويتعاظمون وينتهي الأمر بأن يعيش نسل إبراهيم الذي من إسحق في صراع معهم.

في أصحاح ٢٠ نقرأ أحداث حيلة إبراهيم عندما ادعى أن زوجته سارة هي أخته طبقاً لاتفاقهم معاً على ذلك وكيفية تدخل الله مثلما فعل من قبل في مصر. وهذه القصة عار على الاثنين ولكنها تظهر حماية الله لنسلهما الذي سيعتمد عليه كثيراً.

و برغم كل هذه التغييرات البشرية وغياب الإيمـــان، لـن يســمح الله بتنجس سارة وهكـذا نصــل إلى أصحـاح ٢١ بشـعور مـن الارتياح.

تحقيق الموعد

"فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً ... في الوقت" (تكوين ٢:٢١)

ولدت سارة لإبراهيم ابناً في الوقت الذي تكلم الله عنه وسماه إسحق، تماماً كما أوصاه الله أن يعمل (تكوين ١٩:١٧). كان عمر إبراهيم وقتها ١٠٠ سنة وسارة ٩٠ سنة. كان ميلاد إسحق، بلا أدنى شك، بطريقة معجزيه.

و إسحق معناه "ضحكة" - ربما كانت سارة تفضل اسماً آخر لو أنها لم تضحك بصوت مسموع على الرسالة التي أتى بها الضيوف الذين من السماء. بل إن الأمر ازداد سوءاً بإنكارها الضحك.

"فأنكرت سارة قائلة لم أضحك. لأنها خافت" (تكوين ١٥:١٨).

اهتمت سارة أن تظهر شعورها بالسرور والفخر بعد الولادة فقالت: "قد صنع إليّ الله ضحكاً. كل من يسمع يضحك لي" (تكوين ٦:٢١) وكان سبب اهتمامها بذلك أن هاجر المصرية أم إسماعيل كانت تستهزئ بها كلما حاولت أن تقوم برعاية المولود وتغذيته وهي في شيخوختها. كان إبراهيم يحب إسماعيل كما كان

يحب إسحق. وقد نجد هنا موضوعاً على درجة كبيرة من الأهمية، وهي قضية عدم توافق وانسجام إسماعيل مع إسحق. بإرشاد من الله أعطي الاسم إسحق وهو يعني "ضحكة"، بقصد الإسراع في إظهار المواقف ونهاية تطورها. وهو موضوع يلقي الضوء على التطورات النهائية للكنيسة. ويتناول بولس هذا الموضوع في رسالة غلاطية:

فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة. لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد وأما الذي من الحرة فبالموعد. وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربية. ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها. وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرة" (غلاطية ٤:٢٢-٢٦).

هذا النص يصعب تفسيره إلا أن رسالته العامة واضحة بالكفاية، وهي أن الله يدعو لذاته شعباً من كل هؤلاء الذين اختبروا الميلاد الروحي مثلما حدث في حالة ولادة إسحق المعجزية من اليهود كما من الأمم أيضاً. ويصورهم سفر الرؤيا كمدينة أورشليم المقدسة النازلة من عند الله (رؤيا ٢١:١٠-١٢) وكل المولودين ولادة طبيعية (حسب الجسد) يكونون خاضعين لعبودية الخطية وتحت نير الناموس ويوصَفون بسيناء. وهذه هي روح رسالة الرب يسوع المسيح كما علّمها في البشائر وشرحت في الرسائل.

وهناك أمثلة عديدة، لكن لا يوجد أوضح من إجابة المسيح على نيقوديموس الفريسي مُعلم اليهود "الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يوحنا ٣:٣).

فلا يمكن أن يحيا إسماعيل الابن الذي بحسب الجسد وإسحق الابن الذي بحسب الروح معاً. لابد أن يترك إسماعيل "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يوحنا ٣:٦).

يوضح بولس أن هذه الأحداث التاريخية هي أيضاً رمزية (غلاطية ٤:٢٤). فهاجر بموقفها وبؤسها ترمز لعبودية الجسد ومحدودية الناموس. فهي تمثل الوضع الطبيعي للبشرية في العالم الساقط. لكن الحياة التي عاشها إسحق هي من نوعية مختلفة. إنها حياة الإيمان، حياة ممتلئة بالروح ومنفصلة عن محدودية الجسد والناموس. كما كتب بولس "وأما نحن أيها الأخوة فنظير إسحق أولاد الموعد" (غلاطية ٤:٢٨) ثم يستمر ويشرح أنه لابد لأتباع المسيح أن يتوقعوا الاضطهاد تماماً مثلما عانى إسحق من اضطهاد الجارية وابنها.

الله يهتم بأن يجعل الجنس البشري الفاسد يصبح غير فاسد وأن يصبح المادي روحياً والزمني المؤقت يصبح أبدياً. فالإنسان الطبيعي محكوم بالناموس ومستعبد له. وبرغم ولادة إسماعيل بحسب القوانين الطبيعية، فإن الله وحده يقدر أن يصنع المعجزات التي تفوق

الناموس، هو وحده الذي يستطيع أن يعمل المستحيلات وقوته تنتصر حتى على قوة الموت نفسه. فهو القيامة والحياة. (يوحنا ١١:٢٥)

لب القضية

"ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية" (مرقس ١٧:١٠)

ربما يكون من المفيد أن نتوقف قليلاً لفحص الحقائق قبل أن نتأمل في قمة الأحداث المسجلة في تكوين أصحاح ٢٢. ففي خطة فداء البشرية تتم المصالحة بين الله والإنسان من خلال كفارة الرب يسوع المسيح وموته عن خطية العالم. وكل من يقبل هذا الخلاص ينال الحياة الأبدية وينعم بها في المكان الذي أعده الله لهم حيث لا وجود للخطية أو نتائجها. وهو أعطى لكل هؤلاء الذين قبلوا المسيح السلطان أن يصيروا أبناء الله (يوحنا ١٢:١) الذين ولدوا بالروح وصاروا أعضاء في عائلة الله وهم الوارثون لملكوت الله.

فالشاب الغني الذي جاء إلى يسوع راكضاً وجثا أمامه وطرح عليه سؤالاً جيداً: "ماذا اعمل لكي ارث الحياة الأبدية؟ (مرقس ١٧:١٠)، لابد انه كان يعلم من الكتب المقدسة أن حق الإرث لا يكون إلا للأبناء. وهكذا صاغ السؤال طبقاً لهذا المفهوم. كيف له أن ينضم إلى الأسرة؟ ليكون له التمتع والتنعم بذلك الميراث في وقته المعين؟

وإجابة المسيح عليه كانت بمثابة قيادتــه إلى الصليــب وضـرورة تبعيـة المسيح.

غرض دعوة الله لإبراهيم لها شقان:

(١) أن يخلق الله أمة روحية مبتدئةً بميلاد إسـحق المعجـزي. ومـن خلال هذه الأمة يقوم الله بإعداد العالم وتعليمه مقاصده فيمـا يختص بميلاد وموت وقيامة ابنه.

(٢) ليضع علامة على الموقع الذي سوف يصلب فيـه يسـوع وأن يتم هذا بطريقة لا شك أو لبس فيها عمـا يـدور في فكـر الله للفداء لكل من يؤمن بـه والأبعـاد الـتي كـان الله مستعداً أن يذهب إليها لتحقيق هذه المقاصد.

و دراستنا ركزت حتى الآن على الشق الأول من هذا الغرض. فإبراهيم أبعد ما يكون عن الكمال لكنه يبدو أنه عاش قريباً جداً من الله. وصمـد إيمانـه في الأوقـات الحرجـة والصعبـة. فكـان موضـوع عقمه يشكل تحدياً لإيمانه بطريقة يومية برغـم تـأكيدات مواعيـد الله له. فكانت صرخته المتكررة والمرة "إنك لم تعطني نسـلاً وهـوذا ابـن بيتي وارث لي" (تكوين ١٥:٣). وهذه الصرخة أتت بوعد آخر غـير مشروط "لا يرث هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثـك وهـذا أدى كما رأينا مسبقاً إلى الإعلان العظيم "فآمن بـالرب فحسـب لـه

براً" (آية ٦). فتبرر أبرام بالإيمان وليس ببره. مع الأخذ في الاعتبار الهفوات التي ارتكبها و لم يغفلها الكتاب أو يجد لها عذراً.

و من الملفت للنظر أن إبراهيم كان يفكر في وارث وليس في مجرد طفل. ألم يعده الله أن يتغير اسمه من أبرام إلى إبراهيم أي "أب لجمهور من الأمم". كان الله حقيقة يتطلع إلى ما هو أبعد من إسرائيل، إلى الكنيسة التي ستكون من كل أمم الأرض والتي ستنتقل إليها البركة بالإيمان بالمسيح.

و ذهب الرسول بطرس إلى لب القضية عندما تحدث عن الميلاد الروحي بهذا الأسلوب "مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله" (١بطرس ١:٢٣).

وصار إله إبراهيم إلهاً لإبراهيم وإسحق وتمت أول خطوة في تكوين الأمة الخاصة ومن ذلك الوقت حتى ولادة المسيح لن تحدث أي ولادات معجزية. ولكن إذ تتابعت الأجيال المختلفة في أمة إسرائيل نجد أن محور الحديث هو عن الحق المكتسب بالولادة وما يتبعه من بركات.

و الآن نتوجه إلى الشق الثاني من مقاصد الله التي تستلزم تعاون رجل الإيمان المستعد للتضحية بكل عزيز لديه في سبيل طاعة وصية الله. هل سينجح إبراهيم في مثل هذا الاختبار؟

الجزء الثالث

إسحق

أرض المريّا

"وفي اليوم الثالث. رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد"
(تكوين ٢٢:٤)

جميع الأحداث التي سبقت ما ذكره الوحي في أصحاح ٢٢ من سفر التكوين ما هي إلا تمهيد لما سيذكره الوحي في الآيات ١-١٩ من هذا الأصحاح. فبعد سنين الانتظار المريرة ولدت سارة إسحق.

و يبدو أن مشكلات هاجر وابنها قد وجدت حلاً وأنها قد وجدت لابنها زوجة في مصر. وكانت كل أمور إبراهيم تسير سيراً مرضياً ولذا علق أبيمالك (ملك جرار) على هذا بقوله لإبراهيم "الله معك في كل ما أنت صانع" (تكوين ٢١:٢٢). وبدا أن إبراهيم يعد العدة للاستقرار في أرض الفلسطيين، فنجده يحفر بئراً ويزرع في بئر سبع ويعمل ميثاقاً بينه وبين أبيمالك.

و لكن لم يكن هذا ما يدور في فكر الله عندما دعا أبرام ليترك أور. كان الله على وشك أن ينقل إبراهيم خليله، الشيخ الذي وثق به، إلى قلب مقاصده بدعوته للاشتراك في عمل مشابه لذات العمل الذي سيعمله الله ذاته عندما يضحي بابنه الرب يسوع المسيح

كذبيحة لأجل فداء العالم. مع فارق أنه وجدت فدية لإسحق أما يسوع فقد قدم نفسه كذبيحة.

و الجزء التالي من قصة إبراهيم كما هو مدون في تكوين ٢٢، يعتبر من أعظم وأعمق أجزاء الكتاب المقدس. وهناك نقد يوجه أحياناً أن إله العهد القديم يبدو وكأنه يتحرك بين الحين والآخر ويأمر آخرين بأن يقوموا بأفعال لا يمكن للمرء أن يفهمها ولا أن يوافق عليها وفي بعض الحالات بطرق يصعب على المرء أن يبررها. والقصة الموجودة في أصحاح ٢٢ ينطبق عليها هذا القول.

كان الله على وشك أن يأمر إبراهيم أن يقدم ابنه إسحق كتقدمه ذبيحة محرقة على مذبح النار. من وجهة النظر البشرية يبدو وكأنه طلب من إبراهيم أن يقترف عملاً وثنياً وإجرامياً. أما من وجهة النظر الإلهية فكان وجود الدليل على الرغبة في الطاعة يعتبر وافياً بالغرض. إلا أن الأمر الذي طلبه من إبراهيم كان هو الثمن الذي كان الله نفسه مستعداً أن يدفعه لفداء العالم.

وببساطة شديدة وجّه الله لإبراهيم إلى الموضع - بطريقة نبوية - الذي هو أقدس بقعة على وجه الأرض ـ أرض المرِّيا. تلك التي ستكون نفس المكان الذي سوف يقدم فيه الابن الحبيب نفسه كذبيحة. دعا الله إبراهيم وعمره ٧٥ عاماً "إلى الأرض التي أريك" (تكوين ١٢:١). وبعد ٢٥ عاماً قبل أن يريه الله "الموضع". فقد

يكون من المفيد أن نقرأ الأحداث في أصحاح ٢٢ مع التركيز على "الموضع" بدلاً من الشخصيات الموجودة في هذا المشهد "واذهب إلى أرض المرِّيا" (آية ٢). "وقام وذهب إلى الموضع الذي قال له الله" (آية ٣). "...و في اليوم الثالث رفع إبراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد" (آية ٤). "فلما أتيا إلى الموضع" (آية ٩). وأخيراً التسمية النبوية للموضع كما سماه إبراهيم بعد أن اطمأن "فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه. حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يُرى" (آية ١٤).

لماذا اختير هذا الموضع (المرِّيا) ؟

ترجع بداية القصة إلى الزمان المعين لاختيار ملك من نسل إبراهيم ليملك على شعب إسرائيل. وكان هذا التعيين على درجة كبيرة من الأهمية لأن به سيبدأ أول سلسلة النسب الملوكي الذي سيولد منه المسيح فيما بعد. واختار الله داود تماماً مثلما اختار أبرام قبل سنوات عديدة. وكان في فكر الله أن يُعِد داود _ كما كان الحال مع إبراهيم _ للقيام بمهمة خاصة في التدبير الإلهي لعمل الفداء. ومرت السنين وطعن داود في السن (مثل أبرام) لكنه لم يكن مستعداً بعد للقيام بالمهمة العظيمة التي مسحه الله من أجلها.

و هذه المهمة هي بناء الهيكل الذي سوف يكون له دور بارز في حياة الأمة وهو البناء الذي سيكون بديلاً لخيمة الاجتماع التي أعطى الله تفاصيل تصميماتها إلى موسى قائدهم في أثناء سنين عبور البرية.

كانت الخيمة، عند وقت الخروج، تحوي قدس الأقداس وكان الكهنة من اللاويين هم المستأمنون على كل أسرار التعاليم الخاصة بالكفارة التي كانت ترمز اليها التقدمات والاحتفالات. وإن وجد إنسان يستحق أن ينال كرامة بناء البيت الذي يستخدمه الله ذاته لكل هذه الأغراض فإن الملك داود هو ذلك الإنسان. فداود عاش حياة غنية وناجحة إلى حد بعيد سجلت تفصيلاتها بإسهاب فيما ذكر لكلمات داود الأخيرة (٢ صموئيل١ :٢٣). وحياته هي قصة نجاح من وجهة النظر البشرية. فإنها تحتوي العديد من قصص الأبطال الذين كرسوا حياتهم لملكهم وأبلوا بلاءاً حسناً في العديد من الحروب.

لكنها من وجهة النظر الإلهية، تمثل صورة من الفشل. وذِكر أوريا الحثي في نهاية القائمة (٢ صموئيل٣٩:٢٣) لابد أن يكون بإيحاء من الرب وبإصرار منه على ضمه إلى القائمة.. أضف اسم أوريا إلى القائمة يا داود. نعم هل تذكره ياداود !! بل الأسوأ من هذا، ما ذكر في أصحاح ٢٤ حيث بدأ داود في إحصاء الشعب.

و حمي غضب الرب عليه لسبب خيبة الأمل التي شعر بها تجاه خادمه. فما أعظم الفارق بين داود المتعظم المتفاخر وبين داود الفتى الراعي الذي مسحه صموئيل كالملك القادم الواضع ثقته الكاملة في الرب عندما واجه الدب والأسد أو عندما تحدى جليات. إننا نراه في نهاية حياته يصير مثل اخوته، رجال الحرب أمثال آلياب وأبيناداب

وشمة. فقد نسي كلمات صموئيل النبي "الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب" (١صموئيل ١٦:٧).

و قد مثّل العقاب الذي أنزله به الرب المحاولة الأخيرة لتغيير الموقف. فقد استطاع أبطال داود من قبل أن يحضروا له ماء من بئر بيت لحم، لكن الرب يطلب هؤلاء الذين يستقون الماء الحي من النبع الروحي في نفس المدينة (٢صموئيل ١٦:٢٣). وأرسل الله الملاك المهلك، ولكن لأجل توبة داود وتواضعه أوقف الرب قدوم الهلاك على أورشليم عند بيدر أرونه اليبوسي.

كان الرب في هذا الوقت يستطيع على الأقل أن يذكّر داود بالمهمة العظمى الموكلة اليه. لكن الرب لن يسمح لداود ببناء الهيكل بل هذا الامتياز سيكون من نصيب ابنه سليمان. لكن داود سيشتري الأرض التي سيشيد عليها الهيكل وهي أرض المرّيا. إنها نفس البيدر الذي شاهد توبة ورجوع داود وهي نفس الموضع الذي أراه الرب لإبراهيم من قديم الزمان. إنها أرض المرّيا.

امتحان الإيمان

"فقال إبراهيم: الله يرى لـه الخروف يا ابني. فذهبا كلاهما معاً." (تكوين ٨:٢٢)

يمثل بناء هيكل سليمان القمة في تاريخ بني إسـرائيل. "وشرع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا حيث تراءى لداود أبيه حيث هيأ داود مكاناً في بيدر أرنان اليبوسي" (أخبار الأيام الثاني ١:٣).

كان مسرح الأحداث مُعّداً في جبل المريـا. فمنـذ الوقـت الـذي صعد فيه إبراهيم مع ابنه الذي يحبه إسحق وهو يحمل الحطب الـلازم لتقديم ذبيحة نفسه وحتى الوقت الذي أقام فيـه الملـك داود مذبحـه، حفظ الرب الموضع الذي كان يستخدم كبيدر لخبط الحنطة ولطحـن الحبوب. وكم كـان ملائمـاً ليسـوع أن يتحـدث عـن نفسـه كحبة الحنطة التي لابد أن تقع وتموت في الأرض (يوحنا ١٢:٢٤). وكيف حذر بطرس (لوقا ٢٢:٣١) "سمعان..سمعان هـوذا الشيطان طلبكـم كي يغربلكم كالحنطة". لكـن يوحنـا المعمـدان كـان سبّاقاً في فهـم أهمية جبل المرّيا عندما أعلن عن الذي سيأتي بعده "الـذي رفشـه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن. وأما التبن فيحرقـه بنـار

لا تطفأ" (متى ١٢ :٣). فكانت لابد أن تتم نصرة الجلجثة على أرضية بيدر المرّيا.

قال يسوع عن نفسه إنه "خبز الحياة". ولكن هل كان سامعيه يقدرون النتائج الكاملة لهذا الإعلان البسيط؟ لا أظن، إلى أن جاء اليوم عندما "أخذ خبزاً وكسر وأعطاهم قائلاً: هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم. نعم لقد كُسِرَ في المرّيا... المكان الذي تجرأ إبراهيم في محاكاة الله في استعداده لتقديم ابنه على جبل المريا وهو المكان الذي شاهد فيه داود النسل الملوكي اللامع لإبراهيم. لقد شاهد النار المقدسة تنزل من السماء على مذبح المحرقة (أخبار الأيام الأول ٢٦ :٢١). وفي ذلك الوقت أمر داود ببناء الهيكل. ولما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه الحبيب ليموت على جبل المريا ليكون كفارة عن خطايا العالم. ولابد أن يسوع وهو يعاني تحت وطأة حِمل الصليب تذكر إسحق عندما صعد جبل المريا.

و قبل أن نترك المريا، من المثير حقاً ملاحظة الكلمات المحددة عند تدخل الرب لإنقاذ حياة إسحق "لا تمد يدك إلى الغلام ... لأني علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (تكوين ١٢ :٢٢). "الآن علمت" توضِّح أن هذا الاختبار لم يكن مجرد شكليات فقط، وأن الله كان يطلب دليلاً

عملياً على إيمان إبراهيم. ونتذكر هنا كلمات بطرس الاعتراضية "يارب أنت تعلم كل شيء... أنت تعرف إني أحبك" (يوحنا ٢١:١٧).

لكن الإشارة في ذلك اليوم على جبل المريا كانت إلى "الخوف" وليس "الحب". نعم بالتأكيد هناك مكان لمخافة الرب. فنقرأ أن "رأس الحكمة مخافة الرب" (مزمور ١١١:١٠). وربما تكون المخافة هي أحد أبعاد الحب الحقيقي. على أي حال امتحن الله صديقه امتحاناً عسيراً ورضى بالنتيجة. وتأكدت له البركة "أباركك مباركة واكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر" (تكوين ٢٢:١٧). ونرى، في هذه المرة، لمحة من الآفاق الروحية الشاملة لهذا الوعد (أية ١٨). "ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض!"

لقد تشارك إبراهيم مع ابنه في هذا العمل الإيماني، وهذا ما توضحه الكلمات النبوية لإبراهيم أثناء صعودهم الجبل. "فقال إبراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني. فذهبا كلاهما معاً" (تكوين ٢٢:٨). سؤال إسحق عن خروف المحرقة يدل على انه كان معتاداً على ممارسة تقديم الذبائح. كما أن تعاونه بغير اعتراض في ذلك اليوم على جبل المريا يدل على ثقة إسحق في أبيه مثلما وثق إبراهيم في الله.

و من قمة الأحداث الدرامية الفريدة على جبل المريا، يهبط الكلام فجأة إلى الأرض. فتصل الأخبار إلى إبراهيم عن ولادة عوص وبوز لناحور أخي إبراهيم (تكوين ٢٠:٢٢). وقد يستغرب البعض لهذا التقديم المفاجئ لسلسلة نسل ناحور، حتى نصل إلى (آية ٢٣) "ولد بتوئيل رفقة". وهنا ندرك كيف أن الوحي يُعجل المرحلة التالية من قصة نسل إبراهيم ويقوم بتقديم الفتاة التي ستصبح الزوجة المختارة لإسحق وأُماً ليعقوب.

نتحرك بتركنا أصحاح ٢٢ إلى أرض أكثر انخفاضاً. فيشير أصحاح ٢٣ بكل وقار إلى موت سارة عن عمر يبلغ مائة وسبع وعشرين سنة، كما انه يذكر أيضاً شراء قبر من حبرون يُعرف بمغارة المكفيلة. هناك دفنت سارة مع الآباء الآخرين إلى هذا اليوم. وهذا المكان يوّقره اليهود والمسيحيون والمسلمون جميعاً. وتقف هذه القبور كشاهد صامت على عظمة هؤلاء الذين اختيروا من قبل الله للتمهيد للمنظر الافتتاحي للقصة الرائعة، قصة الفداء.

زوجة لإسحق

"فأدخلها إسحق إلى خباء سارة أمه وأخذ رفقة فصارت له زوجة" (تكوين ٢٤: ٦٧)

كان الدور الذي لعبه إسحق على جبل المريا هو دور الابن المسئول المستعد لتقديم نفسه كذبيحة كمثال للمسيح الذي في ملء الزمان بذل نفسه كذبيحة على صليب الجلجثة. ولكن الآن نرى إسحق في دور آخر مختلف، فهو الآن العريس المحب المنتظر عروسه التي من أجلها أرسل أبوه عبده ليتحرى عن مكانها ويتعرف عليها أولاً ثم ترجع إلى بيت الأسرة.

و المؤمنون اليوم يعتقدون أن الكنيسة تتكون من هؤلاء الذين اختارهم الروح القدس. وأعدّوا ليكونوا العروس المنتظرة والمستعدة للقاء المسيح العريس السماوي (رؤيا ٢١:٩). وتمثل قصة حب إسحق لرفقة ذلك.

و تمثل السبعة وستون آية الموجودة في أصحاح ٢٤ قصة حب رفقة. فقد شاخ إبراهيم وتقدم في الأيام. وكان قد مضى وقت طويل على موت سارة وبات خباؤها خالياً. ويتزوج إبراهيم من

قطورة، إلا أن قلبه كان لا يزال متعلقاً بمغـارة المكفيلـة الـتي سيتولى فيما بعد ابنـاه إسـحق وإسمـاعيل مهمـة وضـع جسـده بجـوار سـارة الحبيبة. وتبرز من خلال هذه القصة الشخصية الشريفة للعبد المجهـول الاسم. فيـأخذ ذلـك العبـد عشـرة جمـال ويمضـي إلى مدينـة نـاحور ليبحث من عشيرة إبراهيم. وعنـد وصولـه إلى هنـاك "أنـاخ الجمـال خارج المدينة عند بئر الماء وقت المساء... وقـت خـروج المسـتقيات" (تكوين١١:٢٤). ولم يشأ أن يضيع أي وقت ثم صلى إلى الله حتى يرشده بعلامة بسيطة، اقترحها للتعرف على الواحدة التي عينها الرب لتكون زوجة لسحق. "وإذ كان لم يفرغ من الكـلام" (آيـة ١٥) إذا رفقة تصل للبئر ودون علمها تتحقق العلامـة بتقديمهـا المـاء لاسـتقاء الجمـال.

و بعد التقديم السريع وإعلان نوايا هذه الزيارة، تم تبادل الهدايـا وقدمت الدعوة للضيافة. لكن العبد كان يتـوق للعـودة إلى إبراهيـم، لكن يوجد قرار واحد لم يحسم بعد... هل ترغب الفتاة في الذهـاب معه؟ كان هذا قـرار لرفقـه وحدهـا. ودعـوا رفقـة وقـالوا لهـا "هـل تذهبين مع هذا الرجل فقالت أذهب" (آية ٥٨). من المهم أن ألاحظ أن رفقة أخذت هذا الالتزام قبل أن تـرى إسـحق أو إبراهيـم. وهـي خطوة إيمان كبيرة يمكـن مقارنتهـا بـالقرار الـذي يـأخذه كـل أفـراد عروس المسيح.

وحدث أن رفقة رأت إسحق قادماً من بعيد تجاه القافلة عبر الحقل. وحدث حب من أول نظرة. وأكد العبد لها أن الذي رأته هو إسحق. وينتهي هذا الأصحاح بهذه الكلمات "فأدخلها إسحق إلى خباء سارة أمه وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها..." (آية ٦٧).

و يذكر الكتاب موت إبراهيم بعد ذلك بقليل وقد عاش حتى عمر مديد بلغ ١٧٥ عاماً. لكن تركيز الوحي ينتقل بوضوح إلى نسله من خلال العروس الجديدة رفقة. ويموت أبونا إبراهيم ويدفن بجوار سارة.

ويذكر الكتاب بعد ذلك بسرعة أسماء أبناء إسماعيل ويشير إلى موته وكان عمره ١٣٧ عاماً. ثم يوّجه.الكاتب الانتباه سريعاً، بتوجيه من الوحي، إلى شخصيه جديدة وبارك الله إسحق ورفقة ورزقهما بالبنين. أولاً عيسو الممسك بعقب أخيه ثم يعقوب الذي أصبح فيما بعد إسرائيل وأصبح أباً لاثني عشرة ابناً الذين صاروا رؤساء الأسباط الإثني عشر الذين اختارهم الله له شعباً.

و نتوقف قليلاً لنتأمل كيف أن هذا الرجل كان فريداً "يا دودة إسرائيل" هكذا يدعوه إشعياء (إشعياء ٤١:١٤). وهناك الكثير في شخصيته يبرر هذا الوصف لكن اسمه بالنسبة للرب ظل إسرائيل "أمير الله". وقصته تحتل ٢٥ أصحاحاً من سفر التكوين وبموته يختتم

السفر. وعند بدء سفر الخروج تكون قد تمت ولادة أمة إسرائيل ـ في مصر.

وتهتم بقية أسفار العهد القديم إلى حد كبير بهذه الأمة ونجاتهم من مصر والسبي ثم العودة إلى أرض الموعد. لكن العهد الجديد يهتم أساساً بإسرائيل مختلفة ومفهوم جديد عن نسل إبراهيم وهي كنيسة المسيح. وهنا يكتب الرسول بولس في غلاطية "إن كنتم للمسيح فانتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٣:٢٩).

لكن الله لم يستبدل شعبه القديم بكنيسة المسيح. فقد بذل الرسول بولس جهداً في تصحيح هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض المؤمنين الأوائل والذي يشرحه بعناية في أصحاح ١١ من رسالة رومية، حيث يشبه الموقف بزيتونة لها فرعان. المؤمنون الجدد هم الذين كانوا فرعاً في زيتونه برية طعمت في الأصل الذي قُطع منه الفرع الأصلي (إسرائيل) لكنه يطعم ثانية في الأصل.

و العامل المشترك لكل من الغصنين في العائلة الروحية التي تكوِّن نسل إبراهيم، هو مفهوم حق البكورية وأهميته الأساسية. وهذا ما سوف نتولى دراسته الآن.

البكورية

"فاحتقر عيسو البكورية" (تكوين ٢٥:٣٤)

كان يعقوب الأخ التوأم لعيسو، لكن الوحي قصد التوضيح أن عيسو هو الأكبر. وكانت رسالة الرب إلى رفقة قبل مولدهم أن "كبير يستعبد لصغير". وكما كان الحال مع إبراهيم وسارة كان هناك أيضاً فترة أقصر لامتحان رفقة وإسحق فقبل أن يستجيب الرب لتوسلاتهم كان إسحق عمره ٦٠ عاماً عندما ولد له التوأم.

و يرسم لنا الوحي صورة مشوقة لعيسو. فقد كان رجلاً خشناً، "صياداً ماكراً"، رجل مرتبط بالأرض وقد أحبه إسحق أبوه. أما رفقة فقد أحبت يعقوب بحسب (تكوين ٢٥:٢٨). وبعد ذلك الإعلان الواضح مباشرة يسلط الكتاب الضوء على حادثة تبدو لأول وهلة أنها غير ذات أهمية. لكن الأحداث التالية تؤكد لنا أنه مستحيل إغفال أهميتها.

رجع عيسو من الحقل متعباً وجائعاً وباع ما وصف بالبكورية لأجل أكلة عدس، طبق شوربة ولذا "احتقر عيسو البكورية" (آية ٣٤).

وهكذا يختتم الأصحاح الخامس والعشرون بهذا التعليق البليغ من كاتب الوحي.

و ينتقل الصراع بين يعقوب وعيسو إلى الأبناء، وأبناء الأبناء، ويبقى حتى يومنا هذا. وهناك إحساس بأن هذا الصراع يهيمن على أجزاء كثيرة في الكتاب المقدس. ويصل الأمر لذروته في الإعلان الجازم والغير متوقع في العهد القديم في سفر ملاخي حيث "يقول الرب وأحببت يعقوب وأبغضت عيسو" (ملاخي ٢:١،٣). ولابد أن يكون هناك سبب عميق لمثل هذا الإعلان. ترى ماذا كان في عيسو يبغضه الرب؟ وماذا كان في يعقوب يحبه الرب؟

يعرض بولس هذا اللغز في رومية ٩. ثم يسترسل في طرح الأسئلة التي كررها مراراً كل من درس المشكلة مع كل التبعات المتعلقة بهذه الأسئلة بطريقة أو أخرى. "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول. ألعل عند الله ظلم. حاشا" (رومية ٩:١٣،١٤). من السهل أن نعثر في هذه النقطة، لذا يجدر بنا أن نتفحص هذين الرجلين لنرى ما الذي خلق هذا الفرق العميق والشاسع بينهما.

لكن كلما تعمقنا في دراسة تفصيلات حياة كل منهما تخيل لنا أن هناك خطأً فاحشاً قد وقع. فيعقوب وليس عيسو هو الغشاش والهارب والمملوء مكراً والذي قام بانتحال شخصية أخيه لكي يسرق

البركة من أبيه الضرير. وهو الذي غش خاله لابان وقام بإذلال نفسه أمام أخيه على النقيض من عيسو الذي كان شهماً بقلبه الصفوح عن يعقوب. فمن وجهة النظر الإنسانية، لا نجد شيئاً ما يعيِّب شخصية عيسو.

فلو أن الله قال "أحببت عيسو وأبغضت يعقوب" لكان من الأسهل أن نفهم السبب. أليس من المتوقع أن تكون كلمات الله: أحببت الاثنين بالتساوي؟

و عند التأمل في هذه الأمور، نجد كلمات تكوين ٢٥:٣٤ يرن صداها خلال الأصحاحات "احتقر عيسو البكورية"، وبالتالي قد خسر البركة، على النقيض من يعقوب الذي اشتهى البكورية لدرجة استخدامه الغش للحصول عليها.

كانت رسالة المسيح للعالم هي أنّ الذين سيرثون ملكوت الله هم ال"مولودين ثانية" (يوحنا ٣:٣)، الذين طالبوا بالبكورية الروحية. فالنسل الروحي لإبراهيم هم هؤلاء "المولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية (إلى الأبد)" (١بطرس ١:٢٣). وسيوهب لكل من طالب بهذه البكورية بركة الحياة الأبدية وعضوية ملكوت السموات. فالبركة تتبع البكورية، كما يتبع الليل النهار. هكذا تُعلم الكلمة المقدسة بوضوح أنه لا يوجد طريق للانتماء لعائلة الله عن غير طريق الولادة.

باع عيسو البكورية لأجل أكلة عدس واحتقرها ولم يُقدرها ولم يهتم حتى بمعناها. لم تكن اهتماماته بالأمور الروحية بل بالأمور الجسدية. ويبدو أن الكثيرين يسلكون هذا الدرب، محتقرين تعاليم المسيح عن الميلاد الثاني كما يشرحه المسيح بصبر لنقيديموس (يوحناه:٣). ولا عجب أن مثل هذا الاتجاه يخلق هوة لا يمكن عبورها لذا يبغضه الله.

نعم، سوف ينال عيسو البركة الجسدية والمادية، وسيتكاثر نسله وينجح. لكن الفرق بين نسل عيسو ونسل يعقوب هو نفس الفرق بين تراب الأرض ونجوم السماء.

البركة

"المسيح افتادنا .... لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع"
(غلاطية ٣ :١٣-١٤).

كان الهدف من موت المسيح على الصليب، بحسب الرسالة التي كتبها بولس إلى أهل غلاطية (غلاطية ١٣،١٤)، هو أن تصير بركة إبرهيم متاحة لجميع الأمم. تلك البركة التي قدم الرب موعدها لإبراهيم وأكدها مراراً وتكراراً خلال حياته. يجادل الرسول بولس أن هذا الوعد يشمل أيضاً النسل الروحي شاملاً كنيسة المسيح. ولذا فهو أمر يتلازم تماماً مع دراستنا. فما هي إذاً هذه البركة التي رأينا أن لها ارتباط أكيد بالبكورية؟

قد قبل يعقوب البركة من أبيه الشيخ الضرير جاء ليأخذها وهو جاث على ركبتيه وقد غطى ذراعيه ورقبته بجلد ذلك الجدي الصغير المذبوح حديثاً، متظاهراً أنه عيسو. لابد أن يعقوب كان يشعر بالعار طول مدة حياته الأرضية كلما تذكر ذلك اليوم. لقد أسماه إشعياء النبي "دودة يعقوب" (إشعياء ٤١:١٤). وكان كل من علم بهذه

الحادثة يحتقره بسببها، وهذا يؤكد بوضوح أكثر أن يعقوب لم يفعل أي شيء يستحق لسببه البركة، بل على العكس تماماً.

و يذكرنا جلد الماعز بطقوس الهيكل الخاصة بمركز أحداث يوم الكفارة (لاويين ١٦) عندما يؤتى بتيس الخطية ليحمل كل آثام الشعب، ليمثل كيف أن الله سيقدم، في ملء الزمان، ابنه كحمل لأجل خطية العالم. فمزمور ٢٢ يرسم صورة نبوية للجلجثة ولا يوجد أوقع من (آية ٦) "أما أنا فدودة لا إنسان. عار على البشر ومحتقر الشعب"، لكن إله يعقوب يموت من أجل يعقوب. وصار ابن الله خطية من أجلنا نازلاً إلى أقصى درجات الخزي.

كانت الباكورية هي التأكيد الوحيد للبركة بالنسبة ليعقوب. فكان من المؤكد أنه بحصول يعقوب عليها سيحصل على البركة حتى ولو كانت ضد إرادة أبيه الذي "ارتعد ...إرتعاداً عظيماً جداً" (تكوين ٢٧:٣٣). عندما أدرك عيسو ما حدث، "صرخ صرخة عظيمة ومرّة جداً" (آية ٣٤). وأضاف قائلاً عن يعقوب "فقد تعقبني مرتين. أخذ بكوريّتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي". وكان واضحاً لإسحق أنه ليس بيده عمل أي شيء حيال هذا الموقف ولم يُقدم على المحاولة. "فحقد عيسو على يعقوب من أجل البركة" (آية ٤١).

فما هي البركة إذاً؟ كما نفهم من القصة في سفر التكوين، أنها لم تكن طوال العمر أو الصحة أو الحكمة العظيمة ولا حتى

الحياة الخالية من الأتعاب أو العيشة في سلام كما اكتشف يعقوب. حاول إسحق أن يصفها في أسلوب رمزي أو روحي عندما بارك يعقوب بالخطأ ظاناً أنه عيسو "ليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر" (تكوين ٢٨:٢٧). ولعلنا نتعجب! ماذا صاغ يعقوب من هذه المكونات عندما نطق أبيه بهذه الكلمات.

و عندما ترّجى عيسو من إسحق أن يباركه أيضاً (آية ٣٨)، كانت البركة محدودة في "دسم الأرض وندى السماء". وواضح هنا حذف الحنطة والخمر... ويظهر من آية ٣٧ أنه حذفاً مقصوداً.

سيأتي اليوم الذي سيجد فيه يعقوب مجاعة في الأرض ولا وجود للحنطة في المخازن. هل سيذكر بنود البركة؟ هل نسي الله؟ هل وقع الله في خطأ ما؟ حاشا. فإننا نتذكر الله في تدبيراته عندما رفع فرعون ابن يعقوب ليكون المتسلط على كل قمح مصر. كان هو البائع لكل شعب الأرض الذين أتو ليشتروا قمحاً. وأصبح نسل يعقوب هو مخلص العالم بالمعنى الحرفي.

و في ضوء العهد الجديد، يصير الحق الروحي المتضمن أكثر وضوحاً. فترمز "الحنطة والخمر" المذكورة في البركة إلى الآم المسيح. فقد وصف مرة المسيح نفسه بحبة الحنطة التي يجب أن تقع في الأرض وتموت لكي تؤسّس مملكة السموات وتقدم الحياة الأبدية لكل من

يؤمن (يوحنا ٢٤:١٢). ويتكلم الخمر بفصاحة عن دم المسيح الـذي سفك، وهي رموز لعناصر مائدة الرب التي توّحد الكنيسة.

فكما رأينا أن بركة إبراهيم تُقدّم لهؤلاء الذين نالوا الفداء مـن خلال يسوع المسيح. فالعالم يعاني من مجاعة روحية في كل أرجائـه. لكن الله أقام يسوع ليكون هو المتسلط تماماً على المخازن السـماوية ليقدم خبز الحياة لكل من يقبل اليه واثقاً في دمـه المسـفوك مـن أجـل الخلاص.

الجزء الرابع

يعقوب

نسل المرأة

"ارسل الله ابنه مولوداً من امرأة ..." (غلاطية ٤:٤)

حقد عيسو على يعقوب من أجل البركة ونوى في قلبه أن يقتل أخيه (تكوين ٤١:٢٧). ويذكرنا بقصة الأخ الأخر الذي اتخذ قراراً مشابهاً ثم قام بتنفيذه وهذا ما نقرأه عن قايين الذي "قام على هابيل أخيه وقتله" (تكوين ٨:٤). ولهذا كان من الضروري أن يبدأ الله بداية جديدة بنسل جديد يتم من خلاله مقاصده الخاصة بفداء البشرية. لذا دعى آدم اسم ابنه شيث "لأن الله وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل. لأن قايين كان قد قتله" (تكوين ٢٥:٤). وبالتأكيد كان الله سوف يكرر نفس الشيء لو أن عيسو نفد تهديده بقتل يعقوب. كان لابد من بداية جديدة.

و تتحول دائرة الضوء على شيث ويسرد الأصحاح الخامس من التكوين سلسلة نسبه في تكوين أصحاح ١١ إلى تارح أبو إبراهيم. وسلاسل النسب تضع إبراهيم ونسله في مكانتهم الحقيقية. فاختيار ا لله لإبراهيم لم يكن عشوائياً، فابراهيم هو أبن تارح الذي من نسل سام الذي هو من نسل شيث، الإبن الذي أُعطي لآدم عوضاً عن هابيل.

سلسلة النسب لها أهمية خاصة أكثر مما نتصور. فلا عجب أن العهد الجديد يسجل سلسلة نسب المسيح مرتين في الإنجيل حسب متى الذي يركز على المسيح الملك. فتبدأ السلسة بَمِلِك "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود... إبن إبراهيم" (متى ١:١). أما لوقا فهو يبرز يسوع كابن الإنسان، لهذا تبدأ سلسلة النسب بيسوع (لوقا ٣:٢٢) وهو يسوع ابن يوسف بن هالي... ويستمر حتى يرجع إلى آدم.

و تختلف سلسلة النسب الأولى عن الثانية فيما عدا إتفاقهم على الأربع عشر جيلاً الأولى من إبراهيم حتى داود. واختلف العلماء عبر القرون في تفسير ما يبدو في الظاهر أنه تناقضات. وليس هذا مجالنا الآن فحص هذه الآراء المختلفة والاستنتاجات كتلك التي طرحها في القرن الرابع الأسقف والعالِم يوسابيوس القيصري. والأمر الواضح جلياً هو التنبير على حقيقة أن الطفل يسوع هو حقيقة نسل المرأة مريم العذراء. بينما يؤكد متى أن "يعقوب ولد يوسف. وقد يرجع سبب عدم الوضوح هذا إلى أن التقاليد اليهودية كانت لا تذكر سلسلة النسب من جهة المراة. وهذا يشرح تردد لوقا في الكتابة بوضوح ليعرف الكل أن يسوع هو ابن العذراء مريم. وهذه نقطة هامة، أن متى يعلن يسوع كنسل إبراهيم، ولوقا يعلنه كنسل المرأة. وهكذا تمّ وصفه في اول آية تُحدث عن الوعد بالفادي "وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك

ونسلها" (تكوين ١٥:٣). وهذا ما لا يشك فيه بولس "أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة..." (غلاطية ٤:٤).

و تعكس لنا هذه الحقائق الدور المزدوج ليسوع. فكنسل إبراهيم هو المسيا - ملك اليهود، وكنسل المرأة هو فادي العالم.

سلّم يعقوب

"..... وهذا باب السماء" (تكوين ١٧:٢٨)

وقع يعقوب في السنوات المبكرة من عمره تحت تأثير رفقة أمه "فالآن يا ابني اسمع لقولي..." (تكوين ٨:٢٧). فتبع وصية أمه التي نفذها حرفياً ومكنته من الحصول على البركة من أبيه بالغش والخداع. وفي المرة التالية طلبت أمه منه أن يطيعها (آية ١٢) عندما نصحته بالهروب من غضب أخيه. وهكذا ترك يعقوب موطنه ولم ير رفقة أمه ثانية. وقبل الرحيل دعى إسحق يعقوب ابنه ليمتحنه ببركته الشخصية، والبركة التي منحها إبراهيم لإسحق ولنسله (تكوين ٤:٢٨). لقد مُنحت هذه البركة بلا تحفظ أو شروط وبغير غش أو خداع من جانب يعقوب مثلما حدث مع البركة السالفة. فهي لا تُقدّم هذه المرة من شيخ كفيف يتوق إلى أكلته المفضلة ولم تكن البركة هذه المرة تعطى لإبن آخر، بل كانت نتيجة عمل إرادي واعٍ بإرشاد من الله وبوازع منه حتى إنها كانت ضد استحسان وميول إسحق الشخصية.

لم يكن ضرورياً ان يلجأ يعقوب إلى الغش والخداع ويحط من

قَدرِهِ إلى هذا الحد من أجل البركة. فكان من المؤكد حصوله على البركة عندما اشتهى البكورية واستحوذ عليها.

كان على يعقوب أن يتعلم الكثير عن طرق الرب وها هو يرسَل إلى خاله لابان في أرض حاران، إلى المكان الذي سيتعلم فيه دروساً عديدة قبل أن يتمكن من الرجوع إلى الأرض التي حفظها ا لله لمن هم داخل نطاق الموعد بالبركة لنسل إبراهيم الخارجة من صلب إسحق ويعقوب.

رأى يعقوب رؤية لباب السماء في أثناء رحلته إلى مكان المنفى (تكوين ٢٨:١٧). وهذه من أكثر القصص المعروفة والمحبوبة في الكتاب المقدس. ومن المألوف ليعقوب أن تأخذ الملائكة دوراً بارزاً في أحلامه طوال حياته. فلم يسجل عن عيسو أنه تعامل مع ملائكة لا في حلم أو غيره، فأقدامه كانت مثبتة في الآرض. وهذه سمة من سمات الفروق الأساسية بين الإثنين. هذا الفرق تأكد أيضاً من خلال التشبيه المجازي لتراب الآرض مقابل نجوم السماء.

و نقرأ عن نوم يعقوب (تكوين ٢٨:١١) ويبدو أن الله، أثناء هذه الحقبة من حياته، كان قادراً أن ينجز الكثير في حياة يعقوب من خلال نومه أكثر من خلال إستيقاظه. فقد كان ينطبق عليه وصف الرجل المملوء غشاً، على العكس تماماً من الشاب المذكور في إنجيل يوحنا (يوحنا ١:٤٨) الذي قال عنه يسوع "هوذا اسرائيل

حقاً لا غش فيه" فقد عرّف نثنائيل بنقاءه وشخصيته المتفتحة. فمن خلال المحادثة القصيرة التي جرت أظهر نثنائيل قدرة عظيمة على الإدراك وأعطاه يسوع أيضاً الوعد بأن يكون له نفس إختبار يعقوب "من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يوحنا ١:٥١). سيُنصب سلم نثنائيل ليصل إلى باب السماء ولكن لابد أن يكون ثابتاً ومؤمناً على ابن الإنسان. يتحدث الحجر الذي وَضع يعقوب رأسه عليه كوسادة عندما رأى حلم السلم الواضح عن ابن الإنسان الذي يُشبهه الكتاب مرات عديدة بالحجر أو الصخرة - صخرة العثرة أو حجر الصدمة (رومية ٩:٣٣). وكان أيضاً حجر الزاوية (أفسس ٢:٢٠) والحجر الذي رفضه البناؤون (١بط ٢:٧) كما يعلن بولس في موضع آخر والصخرة كانت المسيح (١كورنثوس ١٠:٤).

حدث أمران على دجة كبيرة من الأهمية عند طلوع النهار وإنتهاء الحلم. أولهما ما قاله يعقوب وثانيهما ما عمله. نجد ما قاله مسجل في (تكوين ٢٨:١٧) - "ما أرهب هذا المكان. ما هذا إلا بيت الله "- "ودعا اسم ذلك المكان بيت إيل" (آية ١٩) الذي بالطبع يعني "بيت الله".

و تسجل أيضاً آية ١٨ ما فعله، "أخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه"، وبلا شك ان يعقوب تطلع حوله في صباح ذلك اليوم

والشمس ساطعة. بدا كل شيء تماماً كما كان عليه الليلة السالفة عندما اختار الحجر بدون أي فكر ليستخدمه كوسادة. لكن هذا الحجر أصبح فجأة شيئاً مقدساً، وتستطيع أن تتخيل كيف نظر إليه يعقوب بتفحص شديد. واخذه وأقامه عموداً وصبّ زيتاً على رأسه وقال "هذا الحجر الذي أقمته عموداً يكون بيت الله" (آية ٢٢).

هل كان هذا المنظر يدور في فكر بولس عندما كتب إلى تيموثاوس عن سر التقوى وتحدث معه عن بيت الله عمود الحق وقاعدته؟ كما أشار أيضاً إلى الملائكة:

"... بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته. وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد تبرّر في للروح تراءى لملائكة كُرز به بين الأمم به في العالم رُفع في المجد" (١تيموثاوس ٣:١٥-١٦).

لابد أن نتسائل قدّر أهمية ما قام يعقوب بعمله وبما قاله عندما راى كيف أن المسيح يَعِده بأنه سيرى ملائكة الله يصعدون وينزلون ليس على حجر لكن على ابن الإنسان (يوحنا ١:٥١).

و عندما نظر الله ليعقوب من فوق نظرته إلى كل النسل الروحي لإبراهيم، فإنه تطلع قطعاً على الوسادة الحجرية التي يستريح عليها والتي سيرتكز عليها "السلم" الذي يصل إلى باب السماء. وهذا ما يسميه بولس بالسر.

يعقوب وراحيل

"وكانت في عينيه كأيام قليلة بسبب محبته لها" (تكوين ٢٠:٢٩)

أكد الرب، قبل أن ينتهي الحلم، مواعيده بالميراث المستقبلي "الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك. ويكون نسلك كتراب الأرض. بل أكثر من ذلك تتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض (تكوين ١٣:٢٨-١٤). ثم يأتي التأكيد الإلهي أنه يحفظه ويكون معه حيثما يذهب وأنه يوماً ما سوف يرده ثانية إلى بيت إيل.

و يستيقظ يعقوب من نومه. وينذر يعقوب نذراً متحفظاً ومشروطاً أقرب ما يكون إلى صفقة من كونه نذراً مقابل تلك العهود الغير مشروطة المقدمة من ا لله القدير ليعقوب الهارب من أخيه عيسو. "إن كان الله معي وحفظني من هذا الطريق... وأعطاني خبزاً ... ورجعت بسلام إلى بيت ابي يكون الرب لي إلهاً" (تكوين ٢٠:٢٨،٢١). إلا أن الرب باركه بالرغم من كل مكره وأخطائه الكبيرة والظاهرة. وهذا يذكرنا بحادثة النبي بلعام الذي منعه ا لله من أن يلعن إسرائيل، وأجبره الرب أن يعلن لبالاق أن الله " لم

يبصر إثماً في يعقوب. ولا رأى تعباً في إسرائيل" (عدد ٢٢:٢٨).
يختم أصحاح ٢٨ بهذه الكلمات. وأخذ يعقوب يسترجع كل هذه الأحداث وهو يختبر فيضاً من المشاعر المختلفة أثناء ارتحاله شرقاً في اتجاه حاران، تتميماً للنصيحة التي قدمها له والديه. لكنه كان يشعر بالرضى الكامل عن الصفقة التي تم تحقيقها.

و يمثل لقاء يعقوب مع راحيل عند البئر في حاران، وطلبته الزواج منها أحد أعظم قصص الحب في التاريخ.

ظهرت شخصية لابان أبو راحيل في القصة الذكورة في تكوين أصحاح ٢٤ عندما أرسل إبراهيم عبده ليبحث عن زوجة لابنه إسحق. فوجد رفقة أخت لابان. لكن القصة لم تكشف النقاب عن شخصية هذا الرجل "وحدث أنه إذ رأى الخزامة والسوارين على يدي اخته ... فقال أدخل يا مبارك الرب!" (تكوين ٢٤:٢٩-٣١).
والآن يختار الله هذا الرجل، لابان، لكي يلقن يعقوب درساً يحتاج أن يتعلمه ... هو أهمية احترام حق البكورية.

و تظهر أهمية المعنى الروحي لهذا عند إدراك أن الكنيسة هي "كنيسة أبكار مكتوبين في السموات" (عبرانين ١٢:٢٣) وأن المسيح هو "رأس الجسد الكنيسة الذي هو البداءة بكرٌ من الأموات" (كلوسي ١:١٨). وكذلك أن المسيح "هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة" (كولوسي ١:١٥). ويقدم العهد القديم

لنا فهماً أعظم لنظرة الله إلى البكر بعد واقعة الخروج العظيم، عندما أعلن الله بوضوح لموسى "لي كل بكر... لي يكونون أنا الرب" (عدد ٣:١٣). ويوضح الله بنفس المقدار أن قصده كان البكر الروحي.

و خدم يعقوب لابان مدة سبع سنين من أجل راحيل. وكانت كأيام قليلة في عينيه بسبب محبته لها (تكوين ٢٩:٢٠). وهنا يتلقن الدرس الأول عندما أعطيت له ليئة البكر كزوجة بدلاً من راحيل. وكانت النتيجة أنه عليه أن يخدم سبع سنين أخرى من أجل راحيل. وولدت ليئة عشرة أطفال ورزقت الجاريتين بلهة وزلفة كل منهما بطفل أصبح رأساً لسبط من الأسباط الإثني عشر لإسرائيل. بدأ يعقوب حالاً بالإعداد للعودة إلى بلاده، عندما رزق الله الزوجة المباركة والمحبوبة راحيل بابنها يوسف (تكوين ٣٠:٢٥).

و بسجل العهد القديم كيف أن اختيار الله تم بدقة في بيت الأخوة الذين ذكرهم. فاختير هابيل وتُرك قايين. وفي حالة إسحق وإسماعيل، اختار إسحق ثم عند اختياره بين يعقوب وعيسو، فضل يعقوب على عيسو. أما الآن فكل أبناء يعقوب يكرّمون كرؤساء للأسباط الإثني عشر الذين يكوّنون أمة إسرائيل. ويكشف الله من خلال الأسباط الإثني عشر الذين هم نسل إبراهيم عن خطته لفداء العالم. وكانوا هم بمثابة الأساس الذي من خلاله ستنسج تفاصيل

الخطة. وجديلة هذا النسيج تختلف في ألوانها وسمكها. فلم يكن الأبناء الإثني عشر في نفس الأهمية أو المكانة. فقد احتل يوسف الإبن البكر لراحيل مكانة بارزة عن بقية اخوته الآخرين. ونفس الشيء لأخوه الأصغر بنيامين (الذي ولد لراحيل فيما بعد) الذي كانت له مكانة بارزة كما سنرى في بقية القصة.

و رغم أن يعقوب كان مهتماً بالرحيل والعودة إلى موطنه، إلا أن خاله لابان كان يضع العراقيل أمامه لأنه كان شديد النفع له. وعبّر يعقوب عن شكواه المرة لزوجاته ضد أبيهم الذي بدل أجرته عشر مرات، وبدأ يحلم بولادة "الغنم مخططة ورقطاء ومنمرة" التي كانت أساس وموضوع النزاع الذي بينه وبين حماه. لقد تعوّد يعقوب على التقابل مع ملائكة الرب في أحلامه وفي هذه الحالة كانت الرسالة واضحة "أنا إله بيت إيل حيث مسحت عموداً. حيث نذرت لي نذراً. الآن قم اخرج من هذه الأرض وارجع إلى أرض ميلادك" (تكوين ١١:٣١-١٣).

الخروج من حاران

"وقال الرب ليعقوب إرجع إلى أرض آبائك" (تكوين ٣١:٣)

لم يكن أمراً يسيراً على يعقوب أن يخرج نفسه واسرته الكبيرة من حاران. ولكن ما سيحدث في هذه العملية هو بمثابة صورة لما سيتم عند الخروج العظيم من مصر فيما بعد. لقد بارك الرب يعقوب في كل ما امتدت اليه يداه "فاتّسع الرجل كثيراً جداً وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير" (تكوين ٣٠:٤٣).

وتضايق يعقوب عند معرفته بالمشاعر الغير طيبة لأبناء لابان تجاهه "فسمع كلام بني لابان قائلين أخذ يعقوب كل ما كان لأبينا. ومما لأبينا صنع كل هذا المجد" (تكوين ٣١:١). وأدرك أنه حان وقت الرحيل لذا لم يتأسف عندما أصدر الرب تعليماته إليه بالرجوع إلى أرض أبائه (آية ٣،١٣).

و هرب يعقوب سراً راجعاً إلى إسحق أبيه، وأدرك لابان بما حدث بعد مضيّ ثلاثة أيام، فقام وسعى وراءه. وربما اختلفت تماماً نتيجة المواجهة بينهما لولا تدخل الرب وتحذيراته للابان في حلم أن يحترز من أن يكلم يعقوب بخير أو شر (آية ٢٤). واتفقا أن يقطعا

عهداً للسلام واجتهد كل منهما أن يتفوق على الآخـر في إجـراءات مراسيم هذا العهد. فأقاموا عموداً ورجمة من الحجارة وذبح يعقـوب ذبيحة وتشاركوا في أكل الطعـام معـاً طـوال الليـل. وكـان يعقـوب محظوظاً لفشل لابان من العثور على التماثيل التي سرقتها راحيـل مـن أبيها برغم التفتيـش الـذي تم. وكـانت راحيـل تخفـي هـذه التمـاثيل بالجلوس عليها أثناء عملية التفتيش الذي تمّ في خبائها.

و تركهم لابان ليرجعوا إلى حاران في الصباح البـاكر مـن اليـوم التالي وتنفس يعقوب الصعداء ومضى في طريقه مع زوجاتـه وعبيـده وأبنائه ومع كل قطيع الأغنام والجمال غير مدرك للخطر الذي كـان ينتظره. وبدون أي مفاجأة يلاقيه ملاك الرب (تكويـن ١:٣٢) فقـد يحتاج إلى بعض التشجيع قبل مواجهته لغضب عيسو أخيه. يمكـن أن نستنتج مقدار قلق يعقوب واضطرابه من خـلال رسـالة التملـق الـتي أرسلها يعقوب أمامه "هكذا تقولـون لسيدي عيسـو... هكـذا قـال عبدك يعقوب" (آية ٤). بدون شك كان ينتظر بقلـق عـودة الرسـل الذين كانوا يحملون تقريراً عن حالة مشاعر عيسو تجاهه.

و بعد الانتظار والقلـق، رجعـوا إليـه برسـالة مزعجـة "أتينـا إلى أخيك عيسو. وهو قادم للقائك وأربع مئة رجل معه" (آية ٦). فلـم يكن من الغريب أن "يخـاف يعقـوب جـداً وضـاق بـه الأمـر". فقـد تحققت أسوأ توقعاته ومخاوفه. وشعر أنـه لا حيلـة لـه. فكيـف يمكنـه

حماية القطيع والغنم والزوجات والأطفال الصغار بلا أي غطاء أو حماية؟ وبالرغم من مساندة ملاك الرب له، بدأ بالطبع في عمل حساباته. لكنه شعر أنه لابد من الاستعداد بخطة لمقابلة أخيه من باب الحيطة.

و يصرخ يعقوب من أعماقه في صلاة إلى الرب تنطق كلماتها بإعلانات نبوية عميقة، تلقي ضوءاً على جوانب خفية وغير ظاهرة في شخصيته. إنها صرخة من القلب ستستجيب لها السماء.

"وقال يعقوب يا إله أبي إبراهيم وإله أبي إسحق، الرب الذي قال ارجع إلى أرضك وإلى عشيرتك فأحسن إليك. صغير أنا عن جميع ألطافك وجميع الأمانة التي صنعت إلى عبدك. فإني بعصاي عبرت هذا الأردن والآن قد صرت جيشين. نجني من يد أخي من يد عيسو لأني خائف منه أن يأتي ويضربني الأم مع البنين. وأنت قد قلت إني أحسن إليك وأجعل نسلك كرمل البحر الذي لا يُعدّ للكثرة" (تكوين ٣٢:٩-١٢).

و هكذا ذكّر يعقوب الرب بوعده أن نسله يكون كرمل البحر. و لم يكن الوقت مناسباً لذكر تشبيه "كنجوم السماء". إن الكلمات النبوية المذكورة في هذه الصلاة هي التي تتعلق بالأردن "بعصاي عبرتُ هذا الأردن" هي نبوة لا يمكن تُعقل إلا بالفهم الروحي. فهذه الأزمة التي واجهت يعقوب تمثل اختبار البحر الأحمر الذي واجهه

موسى أثناء الخروج. لم يكن لموسى سوى التطلع للرب للنجاة عندما كان الشعب مكشوفاً تماماً، ففرعون وجيوش مصر كانت خلفه والبحر الأحمر أمامه. وهذا نفس الشيء الذي واجه يشوع فيما بعد عندما وقف على شواطئ الأردن للعبور إلى أرض الأعداء بدون أي وسيلة ظاهرة. لكنه جهز "نحو أربعين ألفاً متجرّدين للجند عبروا امام الرب" (يشوع ٤:١٣).

و يعقوب هنا يواجه الأردن وهو يجاهر في صلاته النبوية "بعصاي عبرت هذا الأردن". ويكتشف يعقوب في هذه الليلة استعمالاً جديداً لتلك العصاة ... ليستخدمها في عبور اختبار روحي، ينخلع من خلاله حق فخذه.

اختبار فنيئيل

"لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل" (تكوين ٢٨:٣٢).

اهتم يعقوب اهتماماً كبيراً بهدية عيسو وانعكس مقدار خوفه على حجم الهدية وهي مكونة من "مئتي عنزة وعشرين تيساً، مئتي نعجة وعشرين كبشاً، ثلثين ناقة مرضعة وأولادها، أربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين أتاناً وعشرة حمير" ودفعها إلى يد عبيده الذين لقنهم بعناية ما سوف يقولونه وقال لعبيده "اجعلوا فسحة بين قطيع وقطيع. وأمر الأول قائلاً إذا صادفك عيسو أخي وسألك" عنهم تقول له "هو هدية مرسلة لسيدي عيسو". ويروي لنا أصحاح ٣٢ من التكوين التفاصيل التي تعكس مدى اضطراب وخوف يعقوب من نتائج مواجهة أخيه.

و قام يعقوب وكل العشيرة وعبروا مخاضة يبّوق (وهو أحد فروع الآردن) وأخذ يعقوب امرأتيه وجاريتيه وأجازهم قدامه مع أبنائه الإحدى عشر "فبقي يعقوب وحده" (تكوين ٢٤:٣٣).

و كانت ليلة رعب. من كان يا ترى هذا المصارع المخيف الذي جاهد يعقوب معه طوال الليل؟ وقبل طلوع الفجر، عندما رأى

أنه لن يقدر عليه ضرب حق فخذ يعقوب. وجاهد يعقوب مع الله فأصبح اسمه إسرائيل ودعا "اسم المكان فنيئيل" (أي وجه الله) "لأني نظرت الله وجهاً لوجه" (تكوين ٣٠:٣٢).

وأصبح يعقوب من هذا اليوم وصاعداً معاقاً يحتاج إلى عصاة ليستند اليها في أي مكان يذهب اليه. ومن الغريب أن نجد ذكر لهذه العصاة في قائمة أبطال الإيمان المذكورة في سفر العبرانيين الأصحاح ١١. نجد من خلال كلمات الوحي المقدس ذكر تفاصيل بارزة لكنها غير متوقعة في حياة هؤلاء الأبطال الذين يذكرهم. يذكر عن يعقوب "بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابن يوسف وسجد على رأس عصاه" (عبرانيين ٢١:١١). العصاة هنا هي تذكار لاختبار مصارعة يعقوب مع الله وتغيير اسمه من يعقوب إلى إسرائيل "أمير الله".

و بيدأ أصحاح ٣٣ من التكوين بنذر مشئوم "ورفع يعقوب عينيه ونظر وإذا عيسو مقبل ومعه أربع مئة رجل". ولنا أن نتخيل يعقوب وهو يعرج لكنه الآن بدون خوف. ويجتاز أمام كل أسرته في المقدمة ولم يعد الجبان الذي يحتمي في مؤخرة القافلة. ونجد أن يعقوب ينظر إلى عيسو من خلال نور اختباره في مخاضة يبوّق عندما تصارع مع الله.

و لم يعد، ولا حتى عيسو، يولي الهدية أي اهتمام "ماذا منك كل هذا الجيش الذي صادفته... فقال عيسو لي كثير يا أخي ليكن لك الذي لك" (تكوين ٨:٣٣،٩). وهكذا تعامل الله مع هذا الموقف وتحرك يعقوب في اتجاه بيت إيل كما وجّهه الله وبدون أي إعاقة من عيسو وبدون اللجوء إلى الحيل والمكر بل بالإيمان البسيط والثقة. وهذا كل ما كان يحتاجه نسل إبراهيم أمام كل التحديات سواء المادية أو الروحية. ستظهر حالاً شخصية جديدة تستدعي انتباهنا. فنقرأ في (متى ١:١٦) "ويعقوب ولد يوسف". إنه يعقوب آخر ويوسف آخر، إذ يدرك علماء العهد القديم ما وراء الطبيعي. لأن يوسف في سفر التكوين لم يكن كأي ابن عادي ليعقوب الذي يعد من الآباء. لقد كان يوسف هذا رجل المصير والمقاصد . كما سيحدث أيضاً مع يوسف إنجيل متى.

و ارتبط يوسف بشقيقه بنيامين وكان هو وشقيقه الابنان الوحيدان لراحيل وكان معنى اسمه "يزيد" (تكوين ٢٤:٣٠). كما لو كان الاسم يؤكد على حقيقة أنه سيكون له اخ وهكذا نتوقع الرابطة بينهما التي ستتضح أكثر مع تطور القصة. فكل منهما يمثل الرب يسوع بطريقة خاصة.

يوجد تشابه كبير بين يوسف وبين الرب يسوع. فيوسف هو الإبن المحبوب المرفوض الذي دفن في البئر، بيع بقليل من الفضة

وسجن مع المجرمين. لكنه رُفع إلى مكانة عالية ليكون الذراع الأيمن لفرعون ثم يرتقي ليصبح الناظر والمسئول عن القمح الذي أصبح المصدر الوحيد للحياة للعالم الهالك من المجاعة. حتى يعقوب يضطر أن يلجأ يوماً ما ليوسف ليشتري طعاماً. ويعلن يسوع المسيح عن نفسه كخبز الحياة للنسل الروحي لإبراهيم.

و يُقدّم لنا يوسف في عمر ١٧ عاماً وهو يرعى غنم أبيه (تكوين ٣٧:٢). لكن لنتأمل أولاً في الكارثة التي حلت بيعقوب وعشيرته عند وصولهم إلى بيت لحم والظروف التي أحاطت بولادة الصبي الصغير.

ميلاد بنيامين

"فماتت راحيل ودفنت في طريق أفراته التي هي بيت لحم" *(تكوين ١٩:٣٥).*

يتذكر اليهود حتى هذا اليوم راحيل في أغانيهم. فقد كانت هي الزوجة المحبوبة ليعقوب والأم في إسرائيل. ويعبّر متى في الإنجيل عن مقدار الحزن العميق لهؤلاء الذين فقدوا أطفالهم في المذبحة التي أمر بها هيرودوس في بيت لحم "راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (متى ٢:١٨). ولا يزال قبر راحيل موجوداً بالقرب من المدينة المقدسة وهو موضوع العناية والاهتمام حتى الآن.

و بالرغم من القليل الذي نعرفه عن راحيل كما جاء في سفر التكوين إلا أن الوحي يعرض بأمانة الحق مهما كان. ونجد القصة في أصحاحي ٣٠، ٣١ حيث يعرض لنا راحيل التي تغار من اختها والتي قدمت زوجها لجاريتها وهي التي خدعت أبيها بل أنها أكثر من ذلك كانت تعتبر في نظر الله عابدة أوثان، شديدة الارتباط بهم "فسرقت راحيل أصنام أبيها" (تكوين ١٩:٣١). وجلست على

الأصنام لتخبئهم أثناء التفتيش الذي وافق عليه يعقوب. ولابد أنها سمعت كلمات يعقوب الخطيرة "الذي تجد آلهتك معه لا يعيش" (آية ٣٢). وفشل التفتيش في العثور على الآلهة، واستكملت القافلة في الترحال إلى حاران. لكن شخصية الله لا تتغير. فقد كان يعقوب على وشك الدخول إلى أرض الموعد، كما كان سيفعل موسى بعد سنوات حاملاً لوحي الشهادة المكتوبة باصبع الله "لا تكن لك آلهة أخرى أمامي".

كانت راحيل حبلى في أيامها الأخيرة أثناء هذه الرحلة و لم يكن أي من في هذه القافلة يتخيل أنها لن تعيش لتصل إلى نهاية هذه الرحلة وأنها لن تتخطى بيت لحم.

وَلدت راحيل وتعسرت ولادتها عندما توقفت قافلة يعقوب عند بيت لحم. وأخذت القابلة تحاول تهدئتها أنها بالتأكيد ستلد إبناً (تكوين١٧:٣٥). أدركت راحيل أن نهايتها قد دنت وطلبت أن يدعى اسمه "بن أونى" أي ابن حزني. وبالرغم من كل هذه الظروف الحزينة، لم يوافق يعقوب على هذه الرغبة ودعا ابنه بنيامين أي "ابن يميني".

كان أول ذكر لبيت لحم في الكتاب المقدس عند ذكر حادثة موت راحيل "فماتت راحيل ودفنت في طريق أفراتة التي هي بيت لحم (تكوين ١٩:٣٥). ووضع يعقوب علامة على قبرها "فنصب

يعقوب عموداً على قبرها". وما زال قائماً حتى اليوم. ويعتبر اختيار بيت لحم أمر له مغزاه. فكانت كمسقط رأس الصبي الطفل "ابن حزنى" الذي تحول القصد منه إلى "ابن يميني" انه مكان الميلاد لكن علامته القبر.

و هكذا نرى خيطاً واضحاً في الخطة الإلهية للفداء. فسيأتي اليوم الذي تأتي فيه امرأة حبلى لتخطو نفس هذا الطريق وسيولد طفل صبي في بيت لحم لغرض محدد وهو الموت من أجل خطية العالم. وبالتأكيد سيكون يسوع هو ابن الحزن لكنه أيضاً سيكون ابن اليد اليمنى. ويتعجب المرء إذ كانت مريم العذراء تتأمل في هذه الأمور عندما وقفت أمام قبر راحيل وهي تتذكر الكلمات التي نطق بها سمعان الشيخ عندما باركها مع يوسف لمّا وقفا أمامه مع الطفل يسوع "إن هذا (يسوع) قد وضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوم... وأنت أيضاً يجول في نفسك سيف" (لوقا ٢:٣٤-٣٥).

و كما دعى الله إبراهيم لكي يضع علامة على المكان الذي سيموت فيه المسيح هكذا دعى الله يعقوب لكي يضع علامة على المكان الذي سوف يولد فيه المسيح في ملء الزمان. المريا وبيت لحم هما أقدس مكانين على وجه الأرض في نظر الله.

القسم الخامس

يوسف

يوسف صاحب الأحلام

"هوذا هذا صاحب الأحلام قادم. فالآن هلم نقتله ..."
(تكوين ١٩:٣٧، ٢٠).

شخصية يوسف من الشخصيات المفضلة عند كثيرين من المؤمنين الصغار وتعادل شهرة قميصه الملون شهرة أحلامه. ومن الصعب تخيل كيف يمكن لحزم الحقل أن تسجد؟ (تكوين ٣٧:٧). بل الأصعب من ذلك هو كيف يمكن تخيل الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً يسجدون لهذا الشاب الواعد (آية ٩). ومعنى الحلم واضح تماماً لنا كما كان لأخوته وهو أن يوسف حلم بأنه سيأتي يوم يسجد أمامه كل أخوته بل الأسوأ من ذلك سيسجد له أبوه وأمه أيضاً.

و في خلال حياته الغير عادية نتقابل أيضاً مع أحلام أخرى ليست أحلامه ولكنها أحلام يستطيع تفسيرها أثناء وجوده في السجن في مصر مع رئيس سقاة ورئيس خبازين فرعون. ويشعر المرء في القصة بالأسى على رئيس الخبازين والسلال الثلاث المشئومة، إلا أن رئيس السقاة لاقى نهاية سعيدة.

و في وقت لاحق من حياته نجد حلمين آخرين لعبا دوراً بارزاً في مستقبل يوسف، وهما حلما فرعون. رآى فرعون في الحلم سبع بقرات هزيلات يأكلن سبع بقرات سمينة اللحم وفي الحلم الثاني ابتلعت السنابل الهزيلة السنابل السبع السمينة الممتلئة. وكان المعنى واضحاً تماماً وهو أنه سيأتي سبع سنين بمجاعة يتبعها سبع سنين من الشبع. وتحمل كل هذه الأحلام المختلفة رسالة تؤيد حقيقة روحية وهي أن يوسف كان الابن المختار من نسل يعقوب أبيه وأن يوسف هو الممثل للمسيح نسل إبراهيم المنتظر.

كان يسوع وهو صبي يعرف القصص المدونة في التكوين كما نعرف من زيارته للهيكل عندما كان عمره ١٢ سنة وكيف أن معرفته وفهمه للكتاب أدهشت الجميع. وفي عدة مواقف كان يشير إلى هذه القصص بطريقة بسيطة لكن عميقة "كما رفع موسى الحية في البرية، هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان" (يوحنا ٣:١٤). وأيضاً في موقف آخر عندما قال "كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال" (متى ١٢:٤٠). هكذا كان يربط المسيح نفسه بوضوح بالشخصيات التي كان يقرأ عنها.

ومعنى قصة يوسف له أهمية بارزة بالنسبة للرب يسوع.

فلابد أنه وهو يتأمل أحلام يوسف الشاب كان يتأثر من حقيقة إدراكه أن اليوم سيأتي عندما سيسجد له اخوته وأبواه أيضاً.

كانت أحلام يوسف المبكرة مقلقة، أدى تكرارها إلى بغضة اخوته له إلى درجة التآمر على قتله والتخلص منه "هوذا صاحب الأحلام قادم ... والآن هلم نقتله" (تكوين ١٩:٣٧). ومادة الأحلام المبكرة لها أهمية دلالتها، فالكواكب والحزم تشير بوضوح إلى نسل إبراهيم. ألم يطلب الله من إبراهيم أن يرفع نظره وينظر إلى نجوم السماء وقال له "هكذا يكون نسلك"!.

و تحدث يسوع عن حبة الحنطة التي لا يمكنها أن تتضاعف إن لم تقع في الأرض وتمت. فكل الذين يؤمنون ويضعون ثقتهم في كفارة المسيح يصبحون ثمار الحبة التي ماتت لتأتي بثمر كثير نابع من قوة فداء موت المسيح.

و كانت كلمات صرخة اخوة يوسف الغاضبة "ألعلك تملك علينا ملكاً" (تكوين ٨:٣٧) إعلان نبوي عظيم يسري صداه عبر القرون والأجيال حتى يصل إلى اخوة يسوع الذين رفضوه كملك عليهم مستخدمين نفس كلمات الاستهزاء.

و ليس بعيداً عن التصديق أن نتخيل يسوع يقول لتلاميذه "كما أرسِل يوسف من قبل أبيه رحمة لاخوته،لكنهم رفضوه، هكذا أُرسلت أنا إليكم".

"فلما أبصروه من بعيد قبلما اقـترب إليهـم احتـالوا لـه ليميتـوه" (تكوين ٨:٣٧). "وكان لما جاء يوسف إلى اخوته أنهم خلعوا عن يوسف قميصه" (آية ٢٣)، وطرحـوه في البئر، ثـم جلسـوا ليـأكلوا طعاماً (أية ٢٥). وبـاعوا يوسـف بعشـرين مـن الفضـة (آيـة ٢٨). وسيأتي يوم يعامل فيه يسوع بنفس الطريقة.

و هكذا أتى يوسف صاحب الأحلام إلى مصر.

و نزل الـرب يسـوع المسـيح إلى مصـر بعـد سـنين عديـدة مـن يوسف عن طريق حلم مختلف ليوسف أخر (متى ١٣:٢).

عار يهوذا

"يهوذا ولد فارص وزارح من ثامار." (متى ٣:١).

كان آخر فصل في الجريمة التي اقترفها أخوة يوسف بعد أن باعوه كعبد هو القيام بغمس قميصه الملون، الذي كان سبب غيرتهم منه، في دم تيس لاستخدامه كدليل مزيف لخداع أبيهم يعقوب (تكوين ٣٧:٣١). فمنذ ٣٧ عاماً سابقة، وقف يعقوب أمام أبيه الكفيف إسحق وهو يلبس فروة ملطخة بدماء تيس قُتِل حديثاً على ظهر يديه وعلى رقبته لمحاولة خداع إسحق بتقمصه شخصية عيسو. وتدور الدائرة ويصبح الخادع هو المخدوع. ولا توجد قصة مثل هذه القصة تظهر نعمة الله تجاه الخطاة.

فلم يكن اختيار التيس من جميع الحيوانات ليستخدم في الاحتفال المهيب يوم الكفارة العظيم المشروح بالتفصيل في سفر اللاويين والأصحاح ١٦ من قبيل المصادفة. فسيكون المسيح نفسه هو الحمل الذي سيحمل عار الخطية بتقديم حياته على صليب الجلجثة، كجزء من الثمن الذي كان مستعداً لدفعه. وكان الدم الذي رآه يعقوب على قميص إبنه المفضل هو دم تيس الفداء المذبوح

كبديل عن يوسف الذي بيع كعبد وكان في طريقه إلى مصر. ولم يعلم أباه بهذا الأمر. ولكن عندما رآه ثانية، كان يوسف جالساً عن يمين فرعون في مصر وكان بمثابة خبز الحياة للعالم الهالك بالجوع وهكذا أصبح اللاجئ المرفوض أميراً.

وتنتقل الأحداث إلى مصر. ويعتبر أصحاح ٣٨ بمثابة جملة إعتراضية حيث يُقدم يهوذا لنا من خلاله. ولا غرابة في ذلك، إذا تذكرنا أن المسيح لابد أن يولد من نسل وسلالة يهوذا كما يعلن ذلك بثقة كاتب رسالة العبرانيين: "فإنه واضح أن ربنا قد طلع من سبط يهوذا" (عبرانيين ٧:١٤). ويشير أيضاً سفر الرؤيا إلى المسيح "الأسد" الخارج من سبط يهوذا (رؤيا ٥:٥). وكانت المواعيد دائماً، من خلال كتابات العهد القديم، لسبط يهوذا (قضاة ١:٢). ويذكر بالتفصيل، في مقدمة العهد الجديد، سلسلة نسب سبط يهوذا، وهذا ما يُظهر أن هذه السلالة لها وضع خاص. ويهتم الله بطريقة خاصة بأولاد يهوذا. كيف إذاً سيحمي الله هذا الجزء الخاص من نسل إبراهيم؟ ونكشف النقاب، في الإجابة على هذا السؤال، عن أمور عظيمة في غاية من الأهمية مبهرة. ويلقي الأصحاح ٣٨ من تكوين ضوءاً عما حدث مع الأولاد المباشرين الخارجين من صلب يهوذا. وبلا شك، يرجع سبب هذا السجل إلى أهمية هذا النسل كجزء من سلسلة نسب المسيح نفسه.

و نفهم من هذا السجل أن يهوذا تزوج من إبنة يشوع وولـدت له إبنان عير وأونان. وتزوج عير من ثامار ثم نقرأ بعد ذلـك "وكـان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب.فأماته الـرب" (تكويـن ٣٨:٧). أما أونان فقد كان هو أيضاً شريراً في عيني الرب وأماته الـرب أيضـاً (آية ١٠). يا لها من بداية! هل يبدو أن الله حقاً يحافظ على النسـل؟ ونجد اسوأ من هذا حين يسـقط يهـوذا في علاقتـه مـع كنّتـه الأرملـة ثامار حاسباً أنها زانية (أية١٥)، مما سيؤدي إلى نتائج وخيمة.

وهنا تُسجّل واقعة غريبة ولكنها على درجة كبيرة من الأهميـة. يُرهِن يهوذا خاتمه مع ثامار لتعيده إليـه نظـير تقديمـه إحـدى المعـزى. وأصبح عار هذه الواقعة والنتائج المترتبة عليهـا واضحـة ومفضوحـة. وقد تتساءل لماذا كل هذه التفاصيل ومـا أهميتهـا لخطـة الفـداء؟ لماذا لا تخفى هذه الأمور وتغطى؟ وبكل ما تحمل هذه العبارة مـن تبعات وخيمة، لا يمكن للذيـن يهملـون العهـد القديـم مفضلـين العهد الجديد أن يهربوا من حقيقـة أن يهـوذا ولـد فـارص وزارح من ثامار (متى ١:٣). أمات الـرب عـير وبهـذا أُزيـل مـن النسـل الملوكي. وكان أوثان أيضاً شريراً ولاقى نفس المصـير. لكـن فـارص ولِد في نفس الخـط، خـط الخطيـة، القاسـم المشـترك بـين بـني البشـر أجمعين.

و يذكر البشير متى أسماء ثلاثة من النساء في سلسلة النسب الـتي

تقود مباشرة إلى ولادة المسيح. أولهم ثامار التي ذكرت وارتبط اسمها بالخطية وراحاب التي كسبت مكانتها في الخط الملوكي من خلال الإيمان (عبرانيين ٣١:١١). وثالثتهم راعوث (مؤآبية تحت اللعنة\ تثنية ٣:٢٣) التي ضُمت إلى هذا الخط من خلال عمل النعمة. هذه هي المفاهيم العظيمة في رسالة إنجيل يسوع المسيح للخلاص "لأنه بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان" (أفسس ٢:٨).

فالنعمة تسود من خلال الإيمان لأن المسيح هو كبش الفداء الذي صار "خطية" (٢ كورنثوس ٥:٢١) لكي يخلص البشرية من عقاب الخطية. لذلك نجد أن رسالة هذه القصة في غاية من الأهمية لأنها تحوي أسس وشروط الدخول للذين سيُحسبون ويقبلون كجزء من "نسل إبراهيم". فليس من أعمال مهما كانت لكن بالنعمة من خلال الإيمان، تماماً كما فعل يعقوب الخاطئ عندما اتّحد اسمه مع جلد التيس، مما يمثل صورة حيّة للعار والهزيمة. هكذا يشير الله إلى دم إبنه، حمل الفداء الذي قبل كل العار على نفسه ودفع أجرة خطية الإنسان. فليس من الصدفة أن يولد المسيح من سلسلة نسب سبط يهوذا.

يوسف مفسر الأحلام

"فقال يوسف أليست لله التّعابير" (تكوين ٨:٤٠)

يرجع بنا سفر التكوين إلى قصة يوسف في مصر، ويمكن أن يُقارن يوسف الابن المفضل لدى أبيه إسحق مع دانيال من حيث جمال الأخلاق والحكمة المتميزة والمواهب الروحية. فقصدت المشيئة الإلهية لكل منهما أن يحتل مكانة عليا من السلطة في أرض غريبة. كما أن كل منهما عاش حياته بشرف وأمانة خاضعين للإرشاد الإلهي. فكان الناس ينادون أمام مركبة يوسف "إركعوا". وصرّح فرعون مؤكداً ليوسف "أنا فرعون. فبدونك لا يرفع إنسان يده ولا رجله في كل أرض مصر" (تكوين ٤٣:١٤-٤٤).

وسر صعود يوسف إلى هذه الدرجة من السلطان والتفرد، كما كان الحال مع دانيال، يرجع إلى قدرته على تفسير الأحلام.

ننتقل الآن، وبعد أن تناولنا أحلام يوسف وهو في سنٍ مبكر،إلى أحلام السجن وأحلام فرعون. أحلام السجن مسجلة في تكوين أصحاح ٤٠ وهي الأحلام المزعجة لرئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين غضِب عليهما سيدهما فرعون. فلقد رأى رئيس

السقاة في حلمه كرمة وفي الكرمة ثلاثة أفرع والخمر،الذي هو نتاج العنب الناضج، في كأس فرعون. أما رئيس الخبازين فقد رأى في حلمه ثلاث سلال مملوءة بكل أنواع الخبز التي تأكلها الطيور. وكان التفسير محدداً وموجزاً، فرئيس السقاة سيرجع إلى مركزه في خلال ثلاثة أيام لكن رئيس الخبازين سيقطع فرعون رأسه و"يعلقك على خشبة"(آية ١٩).

و إذا تأملنا الحلمين معاً، نرى فيهما حقيقة روحية ترمز إلى موت المسيح وقيامته. فتشير مدة الثلاث الأيام المشتركة في الحلمين إلى الجلجثة. ألم يتحدث المسيح عن نفسه أنه "خبز الحياة" (يوحنا ٦:٤٨). وفي موقع آخر تحدث عن نفسه أنه "الكرمة الحقيقية" (يوحنا ١٥:١). وحكم الموت الذي نُفذ في رئيس الخبازين هو نفسه الذي قضى به الرب يسوع المسيح عندما علقوه على الخشبة، ولكنه بعد ثلاثة أيام قام من الأموات وأخذ المكانة السامية في السماء. فحلم رئيس السقاة هو نفسه حلم رئيس الخبازين.

لقد مات جسد المسيح لكن كان لدمه المسفوك النصرة. فتحدث عن جسده المكسورحين كسر الخبز في العشاء الآخير، وتحدث عن دمه المسفوك حين سكب الخمر.

رأى رئيس السقاة في حلمه "كرمة بها ثلاثة أغصان، أفرخت وطلع زهرها وأنضجت عناقيدها عنباً" (تك ٤٠:١٠) عندما نظر

إليها. وهذا يرمز إلى القيامة. بل إن هذه الأغصان تذكرنا بكلمات الرب يسوع المسيح "أنا الكرمة وأنتم الأغصان" (يوحنا ١٥:٥) التي تؤكد رجاء الكنيسة أن بقيامته صار المسيح "البكر". ويرسم لنا مَثل حبة الحنطة التي إن ماتت تأتي بثمر كثير وهكذا مثل الكرمة التي أفرخت أغصانها صورة مستقبل الكنيسة التي تنبض بالحياة من خلال موت وقيامة المسيح.

مرت سنتان على يوسف وهو في سجنه الأليم بدون ذكر لأية أحداث، حتى نقرأ "أن فرعون رأى حلماً" (تكوين ٤١:١). وهذه الأحلام معروفة وتمثل الثلث الثالث من أزواج الأحلام المذكورة في قصة يوسف. وتحكي هذه الأحلام عن سبع بقرات سمينة اللحم وحسنة المنظر أكلتها سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر وهزيلة اللحم. أما الحلم الثاني فهو عن سبع سنابل سمينة وحسنة ابتلعتها سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية. وكان تفسير الأحلام واضحاً وبسيطاً وهو سبع سنين من الشبع والخير العظيم يلحقها سبع سنين جوعاً.

كانت هذه الأحلام بمثابة حجر أساس للمخطط الإلهي لحياة يوسف ولأمة إسرائيل. كانت نتيجة أحلام يوسف في مرحلة الطفولة، التي أغضبت اخوته، أنه نفي إلى مصر. وأدى تفسيره لأحلام السجن إلى وصوله لقصر فرعون في مصر. وأدى أيضاً نجاحه

في التفسير الصحيح لأحلام فرعون إلى رفـع مكانتـه، وفي النهايـة إلى استيطان عشيرته في أرض جاسان حيث تكاثر نسل إبراهيم وترعـرع في الأرض حتى حان الوقت المناسب لهذه الأمـة الشـابة ليقودهـا الله إلى حادثة الخروج العظيم إلى أرض الموعد.

كانت الرسالة الروحية للأحلام واضحة، فالأحلام المبكرة كمـا رأينا ترمز إلى تجسد هـذا الـذي سيسـجد لـه أبـواه وأخوتـه. وكـان الحلمـان التاليـان يرمـزان إلى موتـه وقيامتـه. والأمـر المشـترك لآخـر حلمين لفرعون هو مدة السبع سنين الـتي فيهـا سـيكون العـالم تحـت الدينونة، ويصير خلالها يوسف مصدراً للحياة. يتعـرف عليـه اخوتـه خلال هذه المدة وتتم المصالحة بينهم. ولا يتسع لنا المجال هنا للدخول في دراسة النبـوات الخاصـة بنهايـة الزمـان مـن خـلال هـذه الأجـزاء الكتابية. لكـن يجـدر بنـا الإشـارة إلى أن هنـاك العديـد مـن المؤمنـين بنتظرون ظهور يوسف الأعظم الذي سيُعرَف من قبل شعب الله بأنه مسيحهم المنتظر. كما أن هناك أيضاً العديد ممن يتوقعـون فـترة سـبع سنين من الضيقة، كما تنبـأت بهـا الأحـلام الغير عاديـة الـتي رآهـا فرعون.

رفعة يوسف

"لأن يهوذا اعتزّ على اخوته... أما البكورية فليوسف" (أخبار الأيام الأول ٢:٥).

تضم أسفار الأخبار الأيام الأول والثاني قدراً هائلاً من المعلومات المهملة الخاصة بسلاسل الأسباط. لكن بعض الآيات التي تحويها تشع نوراً كمصباح في الظلام لكل من يقدّر أهمية البكورية بالنسبة لنسل إبراهيم.

يسرد كاتب سفر أخبار الأيام بإرشاد إلهي قوائم أنساب الأبناء الاثني عشر ليعقوب (إسرائيل) ليقدم تعليقاً موجوداً في النص التالي:

"وبنو رأوبين بكر إسرائيل. لأنه هو البكر ولأجل تدنيسه فراش أبيه أعطيت بكوريته لبني يوسف بن إسرائيل فلم يُنسب بكراً. لأن يهوذا اعتزّ على اخوته ومنه الرئيس وأما البكورية فليوسف بنو رأوبين بكر إسرائيل حنوك وفلّو..." (أخبار الأيام الأول ١:٥-٢).

مع أن يوسف لم يكن هو الابن الأكبر ولا كان الرأس المنتظر للسبط الملوكي (الشرف الذي كان من نصيب سبط يهوذا)، إلا أن الله قصد بوضوح أن البكورية الروحية التي اشتهاها يعقوب والبركة المصاحبة لها تنتقل من إبراهيم إلى إسحق ثم من يعقوب إلى يوسف

ابنه ومن خلال هذا الخط سوف يتم تحقيق الموعد ببركة جميع أمم العالم.

كانت كل حياة يوسف ترمز بطريقة نبوية إلى حياة المسيح مخلص العالم. فكان هو الحالم الذي تنبأ بأن يوماً ما سيسجد له جميع أخوته، ووالديه. كل أخوته ابغضوه وباعوه عبداً لقافلة متجهة إلى مصر بعشرين قطعة من الفضة (تكوين ٣٧:٢٨) مثل المسيح الذي أبغض وعانى من الخيانة. وكما ارتفع المسيح ليجلس عن يمين الآب هكذا ارتفع يوسف في النهاية إلى يمين فرعون ليصبح مصدر الحياة للعالم بالمعنى الحرفي، بتوفيره الطعام لكل الجائعين أثناء المجاعة القاسية.

كانت مخازن الغلال عند يوسف المصدر الوحيد للطعام المانح الحياة و لم يوجد سواها. ثم تعرّف اخوته عليه وعادت وحدتهم معه التي تشير إلى تصالح المسيح مع إسرائيل في المستقبل. ويشرح فيما بعد يوسف لاخوته، الذين كان القلق والشعور بالذنب يمزقهم، أنه لا لوم عليهم "لأنه لاستبقاء حياة أرسلني ا لله قدامكم" (تكوين ٤٥:٥).

فقد كان جزءاً من مخطط الله أن يتم ميلاد الأمة الجديدة، إسرائيل، في مصر وأن يرسل يوسف قدامهم ليعد الطريق أمامهم. ونعرف أن يوسف كان عمره ثلاثين عاماً عندما "وقف قدام

فرعون". وكان منظره مهيباً وبجانبه زوجته المصرية الأميرة "أسنات" عندما "اجتاز في كل أرض مصر".

آجلاً أم عاجلاً كان على أخوة يوسف أن يذهبوا إلى مصر لشراء القمح. كان يوسف وقتها قد ثبت مكانته كوالٍ على كل أرض مصر. وكان اختباراً شديد التأثير عليه عندما أدرك أن الرجال العشرة الذين سجدوا له بوجوههم إلى الأرض هم إخوته. وهنا يسجل الوحي هذه الكلمات: "وعرف يوسف إخوته. وأما هم فلم يعرفوه. فتذكر يوسف الأحلام التي حلم عنهم..." (تكوين ٤٢:٨،٩).

و يمكننا فهم عدم تعرف أخوة يوسف عليه. فلابد أن منظره كان يختلف عنهم ويشبه المصريين. لا شك أن الضرورة والاحتياج هي التي دعت إلى نزول الإخوة العشر غير الأشقاء لمصر. كان من الصعب إجبار يعقوب على ترك أرضه أو التخلي عن بنيامين الابن الأصغر الذي احتل مكانة يوسف كالابن المحبوب من أبيه. والمخطط الذي نتج عنه مجيء بنيامين إلى مصر معروف جداً. وأدت المقابلة مع صفنات فعنيح(الاسم الذي عرف به يوسف في مصر) إلى انفجار يوسف في البكاء ومغادرته حجرة الاجتماع إلى مكان آخر ليبكي (تكوين ٤٣:٣٠). ونعرف من خلال العهد الجديد كيف بكى يسوع على أورشليم عندما تأمل في مستقبلها.

ليس من الصعب تصديق ان هذه القصة المدونة في التكوين

تشير إلى أزمنة مستقبلية للمصالحة التي ستتم بين الله وشعبه القديم والتي سيسبقها وقت تعرّف واعتراف. من المؤكد أن هذا الموقف سيكون مشحوناً بالعواطف عندما يعترف اليهود بالمسيح بأنه مسيحهم وأخوهم الحقيقي. ويأتي اعترافهم هذا من خلال الخلفية العريضة لحقيقة أن المسيح هو خبز الحياة الحقيقي لكل العالم.

لم يظهر اسم يوسف عند تنظيم الأمة الجديدة إلى أسباط ولا كان هناك سبط يوسف، لكن تولى أبناء يوسف الاثنين، أفرايم ومنسّى قيادة أحد الأسباط. ولا لوم على يوسف بسبب ذلك بل العكس تماماً. هل كان الله يقصد أن يوضح أن يوسف في دوره الروحي هو كمثال نبوي عن المسيح المخلص ليس لليهود فقط بل لكل العالم. وأن يكون له مكانة تتسامى وتعلو فوق أهمية أي سبط؟

الجزء السادس

إسرائيل

النزول إلى مصر

"لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل معك إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً" (تكوين ٤٦:٤-٥).

انتشرت بسرعة أخبار وصول يوسف إلى مصر حتى وصلت بسرعة إلى مسامع فرعون الذي شجع يوسف على استدعاء أبيه للحضور أيضاً. فبدأ في الاستعداد للرحلة عندما أمرك أن يوسف مازال حيا ويتمتع بمركز سامٍ. وبالطبع اتجه إلى الله للحصول على إرشاده. وجاء الإرشاد الإلهي أثناء رؤية في الليل وكانت مفاجئة:

"فقال أنا الله إله أبيك. لا تخف من النزول إلى مصر. لأني أجعلك أمة عظيمة هناك. أنا أنزل إلى مصر وأنا أصعدك أيضاً" (تكوين ٤٦:٤-٥).

كانت المفاجأة ليعقوب صاحب الغنى والفخار كيف أن تحقيق الوعد العظيم الذي اعطي لإبراهيم كما لنسله أيضا سوف يتم في مصر، كما أن عملية تطور تأسيس الأمة العظيمة سيجري هناك أيضا. لم يستطيع أن يرى المستقبل وبؤس العبودية القاسية التي ستأتي فيما بعد، والتي ستقود إلى حادثة الخروج العظيم. وتوضح

رسالة هذه الرؤية أن هـذه الأحـداث لم تكـن بعيـده عـن فكـر الله. كان لابد، بعد اختيار مصـر لتكـون مهـد بدايـة الأمـة الجديـدة، أن يرسل الله يوسف ويضعه في قصر فرعون، تماما كما فعل بعدها بعدة قرون عندما وضع موسى في قصر فرعون آخر قبل حادثة الخروج.

وشعر يوسف بالخجل والإحـراج عندمـا قـدم أسـرته لفرعـون، فأخوته كانوا رعاة خشني المظهر وكانوا يعتـبرون "رجسـاً" بالنسـبة للمصريين (تكوين ٣٤:٤٦). فحاول يوسف تجهيزهم لمقابلة فرعون متوقعاً أنه سوف يسألهم عن عملهم وصنعتهم "تقولـوا عبيـدك أهـل مواشي" (آية ٣٤). هكذا كانت نصيحة أخوهم المتألق والمتحضر.

و يبدأ أن يوسف اسـتطاع أن يختـار خمسـة مـن إخوتـه نجـح في تدريبهم ليقدمهم إلى فرعون. وحسـب المتوقـع، سـألهم فرعـون "مـا صناعتكم؟" ومن هيبة المقابلة، نسـوا كـل نصيحـة يوسـف وأجـابوا "عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعاً" (تكوين ٤٧:٣).

قد يتساءل البعض عـن أهميـة تدويـن هـذه الحادثـة البسـيطة في قصتنا عن نسل إبراهيم. فمهما كان رأي المصريين ونظرتهم للرعـاة، فإن لهم مكانة خاصة في قلب الله كما رأينا بالذات من خلال حيـاة داود الابن الأصغر ليسى ومن خلال ابنه العظيم الذي قال عن نفسـه "أنا هو الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف" لم تسبب إجابة أخوة يوسف الصريحـة والمباشـرة أي أذى بـل بـالعكس فقـد دفعـت

فرعـون لتخصيـص مراعـى خصبـة لهـم في أرض جاسـان. إن دعـوة الكنيسة، على المستوى الروحي، هي أن تقوم بدور الراعـي في قيـادة "رعية الله" وانتظار مجيء "رئيس الرعاة" الأعظم الرب يسوع المسيح (١ بطرس٢:٥،٤). فـلا داعـي إطلاقـاً أن يقلـق يوسـف مـن إجابـة إخوته لأن الرب متحكم في الموقف.

كانت مقابلة يعقوب مـع فرعـون مختلفـة تمامـاً "أدخـل يوسـف يعقـوب أبـاه وأوقفـه أمـام فرعـون". ولا يمكــن لأحــد أن يتخيــل الكلمـات المدونـة في القصـة في تكويـن "وبـارك يعقـوب فرعــون". كانت مفاجأة لفرعون! ويبدو هنا أن فرعون هو الذي أُحضر ليقـف في محضر يعقوب! ويمكننا أن نتخيل صورة الموقف من خلال السؤال الأول الذي نجح فرعون في العثور على كلمات له "كم هي أيام سني حياتك". وأجاب يعقوب على هذا السؤال بطريقـة مهيبـة عكسـت من خلالها شيمة الرجل الكهــل الـذي وقـف أمـام فرعـون، وألقـت ضوءاً على شخصيته كان من الصعـب اكتشـافه. وأظهـرت السـبب الذي من أجله أصبح اسم يعقوب إسرائيل.

"فقال يعقوب لفرعون أيام سني غربــتي مائـة وثلاثـون سـنة. قليلة وردية كانت أيام سني حيــاتي و لم تبلـغ إلى أيـام سـني حيـاة آبائي في أيام غربتهم. وبــارك يعقـوب فرعـون وخـرج مـن لـدن فرعون" (تكوين ٤٧:٩-١٠).

و تعظم يوسف في الغنى والسلطان واستطاع أن يفهم الآثار الاقتصادية لحالة التضخم. لذلك سعى لشراء كل الأرض لفرعون (تكوين ٤٧:٢٠). كما أنه تعظم في غناه الشخصي أيضاً وتزوج من أسنات بنت أحد الكهنة العظام وباركه الله وأنجب اثنين من الأبناء منسّى وأفرايم. كم كنا نحب أن نعرف أكثر عن تفاصيل حياة هذه الأسرة وكيف تربى هؤلاء الأبناء وكبرا في ظلال القصر (كما حدث مع موسى فيما بعد)، إلا أن الوحي يرجع إلى تكميل قصة إسرائيل. دنا يعقوب من الموت وقربت سنين غربته على الانتهاء وحان الوقت لكي ينقل البركة التي اشتهاها وقدّرها وسعى إليها بكل ما يملك في شبابه حتى بطرق ملتوية.

من يا ترى ستكون هذه البركة من نصيبه؟

بركة أفرايم

"فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم" (تكوين ١٤:٤٨).

تحتوي الأحـداث المدونـة بالأصحاحـات الأخـيرة مـن التكويـن الكثير من الإثارة. نتعلم مـن خلالهـا أن يعقـوب عـاش ١٧ عامـاً في مصر قبل موته عن عمر يناهز ١٤٧ عاماً. وأكثر أمرين كانا يقلقـان يعقوب هما أمر موته وأمر دفنه. لذلك استحلف يعقوب يوسـف أن لا يدفنه في مصر. ويسرد الأصحاح الخمسون أحداث الدفن، ولكـن الأضواء تركزت علـى الأحـداث الـتي حصلـت حـول فـراش مـوت يعقـوب. وأصحـاح ٤٨ مـن التكويـن مفاجـأة للقـارئ إلا إذا كـان يتوقع بعض التنويهات التي تختص بنية يعقوب في الأمور الـتي كـانت لها معاني غالية وثمينة في حياته وهي "حق البكورية" و"البركة".

إن تخصيص كل أصحاح ٤٨ ليروي لنا قصة انتقـال البركـة إلى أفرايم، يظهر لنا مـدى الأهميـة الروحيـة لهـذه الحادثـة الـتي سـنتولى شرحها. حضر يوسف إلى أبيه عند سماعه بمرضه ليكون بجانبـه علـى فراشه. وأحضر معه ابناه منسّى الكبـير وأفرايـم، فتقـوّى يعقـوب في شيخوخته وجلس على فراشـه. وذكّـر إسـرائيل يوسـف بوعـود الله

بالبركة له ولنسله في المستقبل. ثم توجه إلى ابني يوسف (اللذان ولدا في مصر وكانا غرباء عن جدهم) وتحدث عنهم كأولاده هو شخصياً مثل راؤبين وشمعون (آية ٥).

و في هذه اللحظة يبدو أن فكر يعقوب أخذ يسترجع الواقعة الحزينة يوم ماتت زوجته المحبوبة راحيل قبل وصوله إلى أفراتة (التي هي أورشليم) بمسافة قصيرة. وتذكر كيف قام بدفنها هناك. إلا أن استرجاعه للذكريات توقف عندما وقعت عيناه على أبناء يوسف. فتوقف متسائلاً "من هذان؟" وأجابه يوسف "هما ابناي اللذان أعطاني الله ههنا" فقال له يعقوب "قدمهما إليّ لأباركهما." لقد حانت الساعة.

"وأخذ يوسف الاثنين أفرايم بيمينه عن يسار إسرائيل ومنسّى بيساره عن يمين إسرائيل وقربهما إليه. فمد إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسّى. وضع يديه بفطنة فإن منسّى كان البكر. وبارك يوسف." (تكوين ٤٨:١٢-١٥)

وعندما رأى يوسف ذلك، حاول جاهداً دفع يد أبيه الشيخ لكي يضعها على رأس الابن الأكبر ظاناً أن أبيه أخطأ الترتيب بسبب شيخوخته وثقل بصره. ولكن قاومه يعقوب مصراً بوضوح وجلاء أنه مدرك ما يعمله، ولم يقدر حتى يوسف الرجل الثاني بعد فرعون أن يثني عزيمة أبيه عن منحه البركة بحسب إرشاد الرب له.

"هو (منسّى) أيضاً يكون شعباً وهو أيضاً يصير كبيراً". ونرى مرة أخرى تأكيد الدرس المذكور في (يوحنا ١:١٢-١٣) وهو أن البركة تعطى بحسب مشيئة الله وليست بمشيئة إنسان حتى لو كان هذا الإنسان هو يوسف.

لن يكون هناك سبط يسمى على اسم يوسف لكنه سينال نصيب اثنين بتكريم ابنيه الاثنين. فسيكون هناك سبطا منسّى وأفرايم لكن البركة التي منحت لإبراهيم وأعطيت ليعقوب عن طريق إسحق ستنتقل إلى أفرايم وليس لمنسّى من خلال يوسف. فما هو المغزى من وراء ذلك؟

إن البركة العظيمة التي ستأتي للأمم (آية ١٩) من خلال نسل إبراهيم ستتم بالتأكيد في الرب يسوع. فقد كانت حياة يوسف تتنبأ بالمسيح ودوره كمخلص العالم ويمكن تتبع أثرها من خلال سبط أفرايم ابنه. فكما أن سبط يهوذا يمثل المسيح كملك لليهود هكذا يشير سبط أفرايم إلى أن النسل الروحي قد اتسع لكي يضم ويشمل كل المؤمنين الحقيقيين من كل الأمم. وهكذا يُعلن الدور المزدوج للمسيح بوضوح في النهاية من العنوان الذي عُلِق على الصليب "يسوع الناصري، ملك اليهود". نعم، يسوع هو ملك اليهود وهو حجر عثرة لليهود لأنهم رفضوا الاعتراف بهذا الحق.

و ارتباط أفرايم مع يهوذا واضح ويحتل مركز مسرح الأحداث

خلال العهد القديم. ففي أحد المرات قاد الرب حزقيال النبي بتوجيه غير مألوف، فطلب منه أن يأخذ عصا ويكتب عليها "ليهوذا" ويأخذ عصا أخرى ويكتب عليها "ليوسف عصا أفرايم" ثم طلب منه الرب أن يقرن "الواحدة بالأخرى كعصا واحدة". وهذا يعلن ويؤكد المعنى الروحي بأقصى طريقة ممكنة وهي أن يهوذا وأفرايم واحد في نظر الله. فملك اليهود ومخلص العالم هما نفس الشخص.(حزقيال ١٦:٣٧)

و يكشف لنا زكريا النبي أن الرب هو ملك كل الأمم وليس اليهود وحدهم "ويكون الرب ملكاً على كل الأرض" (زكريا ٩:١٤). واهتمامنا في هذه الدراسة هو توضيح الارتباط الموجود بين يهوذا وأفرايم وبين رسالة زكريا النبي (زكريا ٦:١٠-٧).

كتب الرسول بولس في رسالته إلى غلاطية:

"أرسل الله ابنه... ليفدي الذين تحت الناموس لننال التبني" (غلاطية ٤:٤-٥)

ربما كان يعقوب أكثر حكمة مما نعرف عنه عندما شدد نفسه لاستقبال يوسف وابنيه اللذين كان بالكاد يستطيع رؤيتهم واللذان بالكاد كان يعرفهما. لكنه تقدم ليقبلهما بالتبني في أسرته إذ دُعي عليهم "نسل إبراهيم".

نبوات فراش الموت

"يوسف غصن شجرة مثمرة على عين أغصان قد ارتفعت فـوق حائط" (تكوين ٢٢:٤٩).

يستحق المشهد الذي كان حول فراش مـوت يعقـوب أن يرسمـه أحد كبار الفنانين. فهذا ليس يعقوب بل إسرائيل الأمير الذي جـاهد مع الله. ويبدأ أصحاح ٤٩ من التكوين بكلمات نبي رزين واثق مـن نفسه ومثقل برسالة من الله:

"اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب وأصغوا إلى إسرائيل أبيكم" (تكوين ٤٩:١-٢).

يحتوي هذا الأصحاح من وجهة النظـر البشـرية كلمـات رجـل كهل ومريض قد يكـون مـن الصعـب فهمهـا علـى الواقفـين حـول فراشه والموجه إليهم هذه الرسالة. لكن مــن وجهـة النظـر الروحيـة، يكشف هذا الأصحاح والأصحاح السابق لـه (الـذي يسـرد زيـارة يوسف مع ابناه لأبيه المشرف على المـوت) أكـثر مـن أي نـص أخـر مدى قوة ومثانة إيمان يعقوب . وأكثر من ذلك فان كلماته التي قالها لابنيه كانت ذات أهمية كبيرة لفهم الكثير عـن الأحـداث التاليـة في الكتاب .

فليس من الغريب أن يذكر الوحي وهو يسرد قائمة أبطال الإيمان في عبرانيين ١١ هذه الكلمات عن يعقوب :

"بالإيمان يعقوب بارك كل واحد من ابني يوسف وسجد على رأس عصاه" (عبرانيين ١١:٢١)

تحدث إسرائيل إلى كل واحد من أبنائه الإثني عشر الذين ربما كانوا يشعرون أنهم أقوياء وأعزّاء . لقد قدر لهم أن يلعبوا دورا في خطة الله العظيمة لفداء العالم . وهم قادة الأسباط الاثنا عشر الذين يمثلون شعب الله المختار . لكن الأمور كانت مختلفة تماما في ذلك اليوم عندما وقفوا أمام أبيهم إسرائيل، فكان لسان أبيهم بمثابة سياط تجلدهم بطريقة لا يجرؤ أحد نظيره عليها. ولا يسع لنا المجال هنا لشرح كل النبوات بالتفصيل. لكن دراستنا تركز على اثنين من الاخوة وهم يهوذا ويوسف، ويقوم بتمثيل يوسف ابنه أفرايم.

يذكر سفر الرؤية أن المسيح هو الأسد الخارج من سبط يهوذا. ونجد في افتتاحية العهد الجديد قائمة بأنساب المسيح متتبعا خط يهوذا. تؤدي كلمات يعقوب إلى يهوذا، عندما نضع هذه الخلفية في اعتبارنا إلى فهم واستنارة:

"... يهوذا إياك يحمد اخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد ... ربض كأسد... لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون... رابطا بالكرمة

جحشه وبالجفنة ابن آتانه غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه" (تكوين ٨:٤٩-١١) .

تعتبر هذه الكلمات ، للذين يجهلون التشبيهات المستخدمة في الكتاب المقدس بلا معنى أو ارتباط لكن تعتبر كافية لآخرين لرفعهم للتأمل في الكلمات الرائعة لهذه النبوة فجعل يعقوب المملكة من نصيب سبط يهوذا، فكان من اللائق أن يتم اختيار داود بن يسّى بعد مرور عدة قرون من سبط يهوذا ليصبح ملكا . لكن الأروع من كل هذا إدراك أن الجزء الثاني من النبوة يتحدث عن المسيح الذي رأى نفسه "الكرمة الحقيقية"، ودخل إلى أورشليم كملك راكبا على جحش ابن آتان لكي يقّدم كذبيحه ويسفك دمه كفاره عن خطية العالم.

لقد قيل عن يوسف عندما جاء دوره " غصن شجرة مثمرة على عين" (آية ٢٢) ويتحدث إشعياء النبي عن إسرائيل كرمة محبوبة سياج حولها (إشعياء ٥:٢). لكن يوسف "أغصان ارتفعت فوق حائط" مؤكدا أنه يتنبأ عن المسيح مخلص العالم كله الذي لا يحّد فقط بأمة إسرائيل. وتشير النبوة إلى البغضة التي سيعانيها، وتحتوي على رمز خفي عن "الراعي صخر إسرائيل". وتبدو هذه العبارة كأنها تجميع كلمات لا تفهم معانيها ! لكنّ لا ضرورة لكلمات أخرى للذين لهم "أعين تبصر وآذان تسمع" للتعرف على

المقصود منها أنه هو يسوع الراعي الصالح وأنه هو الحجر الذي رفضه البناؤن (متى ٤٢:٢١). ويبقى أمر واضح تماما أن داود الصبي الراعي عرف أن الرب هو راعيه (مزمور ٢٣)، وعرف داود الملك من هو الحجر الذي رفضه البناؤن (مزمور ٢٢:١١٨).

ولا يمكننا أن نتخيل موجات المشاعر الذي اجتاحت يوسف عند سماعه هذه الكلمات وهي تخرج من فم أبيه الكهل الراقد على الفراش . فوجه إليه هذه الكلمات:

"إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شئ الذي يباركك تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابضّ تحت. بركات الثّديين والرّحم. بركات أبيك فاقت على بركات أبويّ. إلى منية الآكام الدهرية تكون على رأس يوسف وعلى قمّة نذير أخوته" (تكوين٢٥:٤٩-٢٦).

دفن إسرائيل

"بالإيمان يوسف عند موته... أوصى من جهة عظامه" *(عبرانيين ٢٢:١١).*

شيّع جثمان إسرائيل في موكب مهيب إلى أرض كنعان، شهد بذلك حتّى المصريون .

استغرقت عملية تحنيط الجسد ٤٠ يوما وبعدها أعلن المصريون ٧٠ يوما من الحداد الرسمي.

وكان الوفد الرسمي لتشيع الجنازة مكونا من :

"جميع عبيد فرعون"
"شيوخ بيته"
"جميع شيوخ أرض مصر"
"كل بيت يوسف"
"أخوته وبيت أبيه"

"وصعد معه مركبات وفرسان . فكان الجيش كثيرا جدا" (تكوين ٥٠:٧-٩).

تأثر الكنعانيون جدا بهذا المشهد وتعجبوا عند رؤية شدة حزن

ومناحة المصريين وقالوا "هذه مناحة ثقيلة"، واستغربوا لأنه لم تصلهم أية أخبار عن موت فرعون! من هو الميت إذا ؟ وازداد تعجبهم عندما توقف الموكب عند عبر الأردن . وقام أبناء إسرائيل الاثنا عشر بحمل جثمان أبيهم إلى أرض كنعان حيث دفنوه في مغارة حقل المكفيلة بجانب الأباء الأقدمين، إبراهيم وساره، إسحق ورفقة، يعقوب وليئة وأما راحيل فقد دفنت في بيت لحم.

كان هذا الاحتفال المهيب بسبب التقدير والاعتزاز الذي كان لإسرائيل والد يوسف عند فرعون. فهو لم ينس لقاءه الأول معه عندما باركه يعقوب. لذا كان من الطبيعي أن يكرّم فرعون يعقوب عند موته. لكن هناك سبباً أخر لاعتبار واقعة دفن يعقوب نصرة في ختام الوحي في سفر التكوين.

فلم يكن هذا الموكب العظيم الذي مركزه جثمان يعقوب، المصحوب بالمركبات والفرسان إلا ظلاً لواقعة الخروج العظيم فيما بعد، عندما يقود موسى الأمة الشابة للخروج من مصر وهم حاملون معهم عظام يوسف ليبدأ الرحلة إلى كنعان، الأرض الموعودة.

و يُختتم سفر التكوين بنهاية حياة يعقوب وبالإشارة إلى كلام يوسف المطمئن لأخوته عن مستقبلهم في مصر. وعاش يوسف ١١٠ عاماً إلى أن رأى أحفاده من ابنيه أفرايم ومنسّى. اشتهر فراعنة مصر باهتمامهم الشديد بموتاهم ولا شك أنه قد أعدت الترتيبات لتخليد

ذكرى يوسف الذي كان محل قدر هائل من التقدير. وكان من الممكن أن يكتب الكثير لتخليد ذكراه. من المثير أن كاتب سفر العبرانيين، المرشد بالوحي، يذكر بأهمية الإيمان العظيم الذي من أجله استحق يوسف أن يذكر ضمن قائمة أبطال الإيمان:

"بالإيمان يوسف عند موته ذكر خروج بني إسرائيل وأوصى من جهة عظامه" (عبرانيين ١١:٢٢).

و قد تعطي النظرة العابرة السطحية لآخر أربع آيات في سفر التكوين انطباعاً بأن قصة أسرة إبراهيم انتهت بالفشل. لكن هذا يناقض تماماً وجهة نظر كاتب الوحي الإلهي لسفر العبرانيين. فعظمة يوسف لم تكمن في أحلامه أو في مقدرته على تفسيرهم ولا في مقدرته السياسية ولا حتى في مركزه السامي، لكنها كانت تكمن في إيمانه بالرب الذي مكّنه من تركيز نظره على أرض الموعد الذي دعا إليها إبراهيم ونسله.

كانت مصر تمثل نقطة الانطلاق، لكنها لن تكون أمل المستقبل له أو لأسرته. فيوماً ما "الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الأرض إلى الأرض التي حلف لإبراهيم وإسحق ويعقوب" (تكوين ٥٠:٢٤). وهكذا نصل إلى كلمات الختام من قصة التكوين "ثم مات يوسف... فحنطوه ووضع في تابوت في مصر" (تكوين ٥٠:٢٦). ليس في هرم عظيم ولا في مقبرة للعظماء ولا حتى في مقبرة عادية لكن في تابوت

لأنه الشكل المناسب ليحُمل عند الرحيل. فكان يوسف راضياً أن يرقد في هذا التابوت حتى الوقت المناسب لبدء الخروج المعين من ا لله.

الخلاصة

"فهذه الأمور جميعاً أصابتهم مثالاً ..." (١كورنثوس ١٠:١١).

يا لها من تجربة فريدة اختار الله رجلاً واحداً اسمه أبرام ومن نسله تخرج أمة (إسرائيل) ومن خلال هذه الأمة يولد الله المتجسد في الزمان والمكان المحددين. ويعاني في تجسده الرفض والمذلة والموت، ويكون من خلال موته الكفاري فرصة لكل من يؤمن بالمسيح (المسيا) أن يشترك معه في القيامة والتمتع بالحياة الفضلى. ويتحرر من قيود الخطية التي تفصل الإنسان عن الله أبدياً.

و الوعد أعطي من خلال أسرة إبراهيم كحق البكورية الروحي، ثم انتقل الموعد من إبراهيم لإسحق ليعقوب ليوسف ومن يوسف إلى أفرايم كما رأينا. وكان الوعد ذات شقين: الأول أن الأمة ستتكاثر كتراب الأرض والثاني أن أرض كنعان ستكون وطنهم. لكن الميراث له بُعد روحي أيضاً، فسوف يتكاثر إبراهيم ونسله كنجوم السماء وسوف تكون السماء وطنهم.

و يكون واضحاً، من خلال دراستنا لقصة حياة إبراهيم وأسرته التي شغلت حوالي ٣٨ أصحاحاً من ٥٠ أصحاحاً في سفر التكوين،

إن أكثر ما كان يشغل حياة الأباء الأقدمين هو الميراث الروحي. ونقرأ في عبرانيين "بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي. بالإيمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً في خيام مع إسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه لأنه كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله" (عبرانيين ٨:١١-١٠).

و في نهاية حياتهم، كان الجزء الذي يملكوه شرعياً من كل أرض كنعان هو المقبرة الموجودة في حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم وإسحق ويعقوب. وفشل حتى يوسف الذي اشترى كل أرض مصر لفرعون في أن يحصل لأسرته على جزء من أرض كنعان. بل كانوا سعداء بالعيش في مصر. ولا يبدو، في هذه الحقبة من تطور إسرائيل، أنه جرت أي محاولات للحصول على أية أراضٍ من الكنعانيين سواء بالشراء أو بالغزو للبدء في بناء الميراث المادي. لأن الأباء القدماء كانوا شاخصين إلى السماء، فلا غرابة أن نجد يعقوب يحلم بالسلم الذي رأسه يصل إلى السماء. تبين تعاليم العهد الجديد أن موت المسيح مهّد الطريق لتقديم عطية الخلاص لكل من هو ليس يهودياً والذي سيشترك مع إبراهيم في إيمانه بشرط أن يؤمن أن دم يسوع المسيح يكفر عن خطية من يؤمن.

أن ملكوت السماوات هو البركة الأبدية لكل مسيحي، كما

هو الحال بالنسبة لإبراهيم وهو الميراث لكل من يطلب حق البكورية. هذا هو الخيط الذي يسري نسيجه خلال نسيج قصة الآباء القدماء والذي يربط العهد القديم بالجديد، كما قال بطرس:

"مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد" (١ بطرس ١:٢٣)

و يكون المسيح بهذا المعنى هو حقيقة جزء من النسل الروحي لإبراهيم كما يشرحه بولس:

"ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبد ولا حر. ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح. فإن كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة" (غلاطية ٣:٢٨-٢٩).

و هكذا ينزل الستار لعدة قرون ويفتح ثانية على سفر الخروج حيث قد حدث تغيير. فقد تحولت الأمة الشابة والحرة، الذي الرب إلهها، إلى أمة مستعبدة تخدم أسيادها المصريين. وأصبح الهروب شبه مستحيل وأصبحت أرض الموعد حلماً لا أكثر.

ماذا حدث؟ هل نسي الله شعبه أو تراجع في وعده؟ حاشا، لكن مسرح الأحداث أعدّ للمشهد القادم من قصة الفداء. ويحتاج تفاصيل ما حدث إلى قصة أخرى.

إصدارات أخرى لمكتبة المنار

١.هل حقاً تكلم الله

٢.جوني

٣.انهض وحارب

٤.لكي أربح

٥.العلاقة الحميمة مع الله

٦.رحلة في دروب الحياة

٧.أعماق نفسي

٨.ترس الصلاة

٩.لمسة رحمة لعالم جريح

نسل إبراهيم

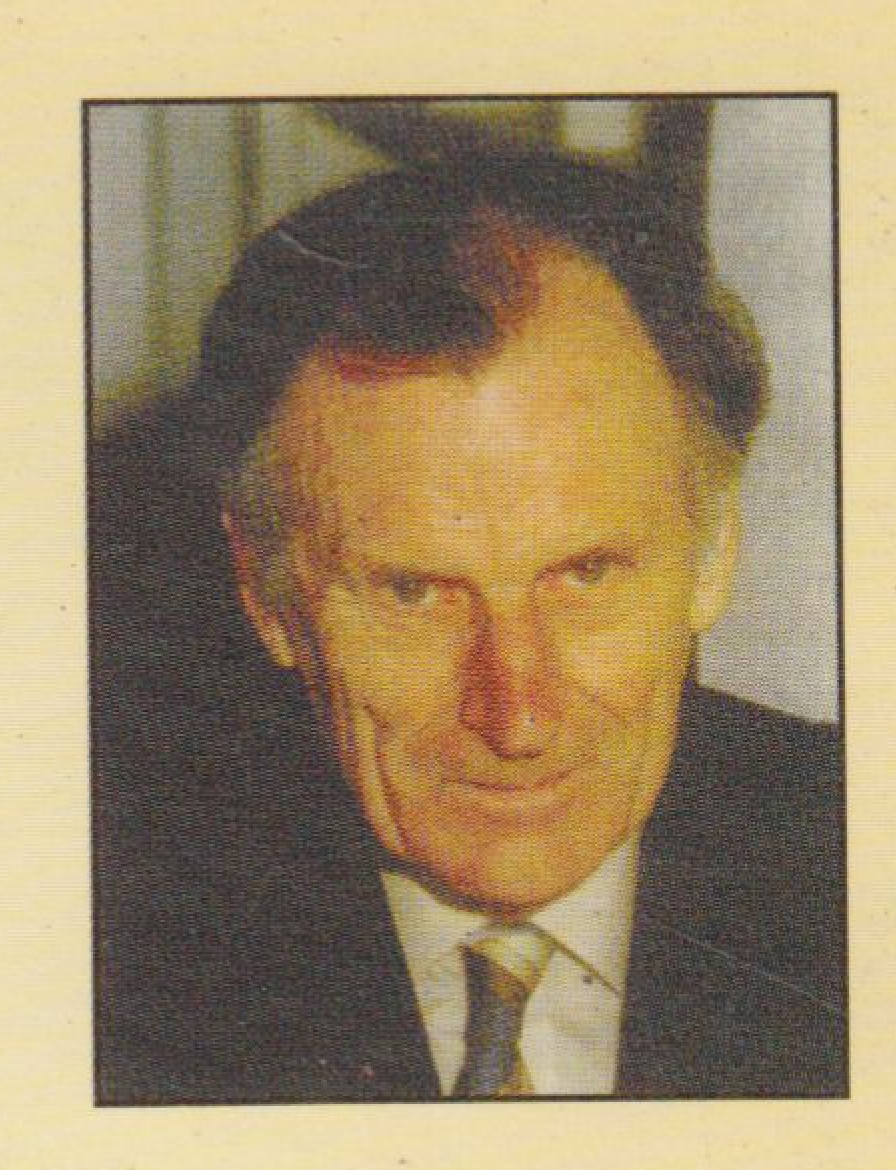


الجزء الأول

العائلة

دراسة روحية تأملية رائعة لحياة إبراهيم ابي المؤمنين تتناول دراسة الأحداث المختلفة التي جرت في حياته والمسجلة في الوحي المقدس.

هذا الكتاب يلقي الضوء على مقاصد الله الأبدية لخلاص كل زرية إبراهيم الروحية. ستجد متعة كبيرة في متابعة هذا الكتاب.



پيرسى رولف:

يعيش في أيل أوف ويت في المملكة المتحدة وهو دارس بارع ومتعمق للكتاب المقدس، له قدرة عظيمة على إبراز المعاني الروحية ببساطة وعمق. عمل پيرس بالمحاماة لسنوات طويلة وكذلك شغل عدة مناصب قضائية كان آخرها قبل التقاعد منصب قاض في إحدى المحاكم الملكية.





مكتبة المنار
Lighthouse Book Center